جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية
قسم الثقافة الإسلامية

الإبداع
ومنهج الإسلام فى تحقيقه

بحث مقدم لحولية كلية الدعوة الإسلامية

إعداد
محمد عبد المولى قاسم عبد الرحمن
مدرس بقسم الثقافة الإسلامية

ملخص البحث:
يؤكّد المؤلِّف على أنّ الحديث عن الإبداع لم يلق اهتمامًا كبيرًا في دراسات المتخصصين في الدعوة والثقافة الإسلامية، كما هو الحال لدى علماء النفس والاجتماع والتربية، وهذا ما اجتهد في معالجته خلال صفحات هذا البحث.
وقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، تناول المؤلِّف في المبحث الأول منه: مفهوم الإبداع وبعض المصطلحات والمترادفات المتصلة به، وفرّق المؤلّف بين إبداع الخالق وإبداع الخلق، ثم شرع البحث في بيان عوامل الإبداع الذاتية والخارجية، ومن أهمها:
ثم جاء المبحث الثاني: ليضع النقاط على الحروف في بيان منهج الإسلام وطريقته في تحقيق الإبداع، متمثلا في احترام الإسلام للعقل والحث على تنمية قدراته، دعوة الإسلام لطلب العلم والاهتمام به، الحث على فهم السنن الكونية والانتفاع بما في الكون من طاقات ومسخرات، الحث على إتقان العمل وإجادته، النهى عن التقليد والتبعية والاتكال، فضلا عن تقدير المواهب ورعاية الموهوبين.
ثم كان المبحث الثالث: والذي خصّه المؤلِّف ببيان ضوابط الإبداع في المنهج الإسلامي، ومنها: الإبداع في حدود ما أباحه الشرع من مجالات، احترام القيم الإنسانية والمجتمعية، تحقيق النفع والخير للبشرية، نسبة النعمة للمنعم ﷻ وعدم البطر والغرور، فضلاً عن استشعار المسئولية والمحاسبة أمام الله تعالى يوم القيامة.
وختم بحثه بالمبحث الرابع الذي ضمّنه ثمار الالتزام بمنهج الاسلام في تحقيق الإبداع، سواء أكان في مجال العلوم النظرية، أم مجال العلوم التجريبية والعملية..
وأخيرًا كانت الخاتمة التي ضمّنها عددًا من نتائج بحثه، منها: أن المسلمين الأوائل عندما التزموا بخطوات المنهج الإسلامي سبقوا الأمم حضارياً وتفوقوا في كل ميادين الحياة، ومن ثمّ صلاحية المنهج الإسلامي لتحقيق الإبداع للتطبيق في كل زمان ومكان، وقد قدم المسلمون الأوائل الدليل على ذلك.

الكلمات الدالة:
الابداع-منهج- الإسلام-تحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، سبحانه خلق الإنسان من علق، وعلَّم بالقلم، وأفاض عليه بما لا يحصى من النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله النبى الأميّ الذى علَّم الأميين فكانوا قادة للأمم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على أسعد خلق الله أجمعين، وفيض رحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد،،،

لقد خلق الله ﷻ الإنسان واستخلفه فى الأرض لعمارتها وتحقيق العبادة له . سبحانه . بمعناها الحقيقى الشامل؛ ومن أجل ذلك أودع الله فيه ما أودع من الملكات والقدرات، وسخر له الكون بما فيه من طاقات وإمكانيات، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، ثم أنزل الله . تعالى . منهجاً ربانياً قويماً لينظم علاقة الإنسان مع خالقه ومع الكون وما فيه من مخلوقات، ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] .

وإن من مفردات هذا المنهج ومبادئه؛ توجيه الإنسان إلى حسن التعامل مع سنن الله فى كونه، حيث دعاه إلى النظر والتامل والتفكر، ومن ثم الابتكار والابداع للانتفاع بما فى الكون من مسخرات؛ ذلك لأن الإبداع من أهم عوامل حفظ الإنسان وأمنه ورقى الأمم وازدهارالحضارات، فلولا وجود رغبة لدى الإنسان الأول فى البحث عن الأفضل والأنفع ومن ثم محاولة الابتكار والاستحداث فى أساليب الحياة . لولا ذلك . لظل الإنسان على حالته الأولى من البداءة فى أساليب الحياة وشظف العيش، لكن الإنسان بما أودع الله فيه من ملكات وقدرات، وبما سخر له من مسخرات أعمل فيها عقله وفكره اجتهد فابتكر وأبدع وأنتج مافيه أمنه واستقراره وسعادته من أساليب العيش وسبل الحياة.

كما أن الإبداع من أهم عوامل بقاء الأمم وازدهار الحضارات ونموها، إذ إن الأمة التى تتخذ الإبداع منهجا حياتياً لها يمكنها أن تكفى نفسها فلا تعتمد على غيرها، وبالتالى تصبح قادرة على تحديد مصيرها، وامتلاك زمام أمرها فى حاضرها ومستقبلها، والحفاظ على مقوماتها وهويتها من الضياع أو التحلل الداخلى، ومن الذوبان أو التغلغل الخارجى.

---

(١) سورة الجاثية آية:١٣.

(٢) سورة البقرة آية : ٣٨.

وقد عاش المسلمون الأوائل على هذا النهج الربانى، والتزموا بتعاليم الإسلام وتوجيهاته فيما يتعلق بالإبداع منذ اللحظة الأولى، فمع نزول أول قبس من الوحى السماوى على رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ قام المسلمون الأوائل بالانطلاق فى ربوع الأرض طلبا للنافع من العلوم والمعارف، والتجول فى جنبات الكون بنظرهم وفكرهم، فتعرَّفوا على سنن الله فى الكون ودرسوها، واكتشفوا ما فى الكون من طاقات وسخروها، وهيأت الأمة لأبنائها المناخ المناسب لتحصيل العلم وحرية الفكر والعمل الجاد، فظهرت المواهب وتفتقت العقول عن ألوان شتى من الإبداعات فى كل ميادين الحياة، وكانت للمسلمين القيادة والريادة فى كل العلوم والمعارف والفنون، وأضاءت دول الإسلام بنورالعلم والإبداع، فكان ذلك عامل جذب لغير المسلمين الذين وفدوا إلى بلاد الإسلام لينهلوا من علوم المسلمين ومعارفهم، فكانت للأمة الإسلامية كرامتها وعزتها وسيادتها بين الأمم.

وظلت الأمة الإسلامية على هذا الحال من الريادة والتقدم والرقى حقباً متتالية، حتى بعد المسلمون عن الفهم الصحيح للدين الشامل، فأحيوا العبادات وأماتوا الأخلاق والسلوكيات، وأقصوا الدين عن واقع الحياة، وحصروا معنى العبادة فى أداء الأركان فحسب، وغزت عقول كثير من المسلمين أفكار سامة تقضى على المواهب وتُثبط الهمم، وتدعوا إلى التواكل والاعتماد على الغير والانعزال عن واقع الحياة.

وابتليت الأمة الإسلامية فى فكر أبنائها بفئتين من الناس؛ الأولى: تحارب كل جديد وتصطدم به، وتُبَدِّع كل مُحْدَث ولو لم يكن له علاقة بالدين، فاعتزلت تلك الفئة ميدان البحث العلمى، ورفض أتباعها العلوم التجريبية، واكتفوا بدراسة علوم الشريعة. والثانية: فَهِمْت الإبداع فهماً خاطئاً، وخرجت به عن إطاره الصحيح، فرأت الهوى والغريزة منطلقاً للإبداع، وجعلت الخروج على الدين والعرف والعادة من ضوابطه، فلم يراع هؤلاء لثوابت الدين قدسيتها، ولا للقيم الإنسانية حرمتها، ولا للأعراف المجتمعية حقها.

وأضحت طاقات الشباب من الموهوبين معطلة، وعقولهم حائرة بين جمود الجامدين وجنوح الجانحين، فى الوقت الذى تم التوجه فيه إلى الاهتمام بالقوى المادية والألات الصناعية أكثر من الطاقات البشرية؛ فهجرت عقول كثيرمن الموهوبين بلاد الإسلام علَّها تجد . فى مكان آخر . مناخاً ملائماً لتنمية مواهبها واستثمار طاقاتها الإبداعية.

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لكل هذا تأخر الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة، وقتل الروح الإبداعية بين أبنائها، وأضحت بلاد الإسلام سوقاً حرة لعرض إبداعات الأخرين وابتكاراتهم فى كل ميادين الحياة.

وكانت أشد البلايا بعد كل هذا أن يُتهم الإسلام بأنه سبب تأخر المسلمين حضارياً، وأنه يحارب الإبداع، وخلط هؤلاء . فى حكمهم . بين الإسلام وسلوك المسلمين متناسين ما كان للإسلام من دور أساسى فى نقله لأتباعه من الأمية إلى الريادة فى كل العلوم والفنون.

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة تلك القضية؛ للوقوف على أبعادها، والتعرف على حقيقة الإبداع وعوامله، وتجلية موقف الإسلام منه، إذ إن الحديث عن الإبداع لم يلق اهتماماً كبيراً فى دراسات المتخصصين فى الدعوة والثقافة الإسلامية، كما هو الحال لدى علماء النفس والاجتماع والتربية، وهذا ما اجتهد الباحث . بعون الله تعالى وتوفيقه . فى معالجته خلال صفحات هذا البحث . سائلاً المولى ﷻ السداد والقبول.

محمد عبد المولى قاسم عبد الرحمن
مدرس بقسم الثقافة الإسلامية

المبحث الأول :الإبداع "مفهومه، حقيقته، عوامله"

المطلب الأول: تحرير المصطلحات.

أولاً : مفهوم الإبداع

أ . الإبداع فى اللغة: الإبداع : مصدر الفعل الرباعى " أبدع "، جاء فى معاجم اللغة العربية: أبدع الشيء: اخترعه لاعلى مثال، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، وأبدع الله تعالى الخلق إبداعا خلقهم لاعلى مثال، فهو سبحانه الخالق المُخْتَرِعُ لاعن مثال سابق، وأبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأحدثته، ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة، وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة، لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهو مصلحة يندفع بها مفسدة [١].

مما سبق يتضح أن مصطلح الإبداع يدور معناه فى اللغة حول الإحداث أو الإيجاد على غير مثال، والإتيان بشئ جديد لم يُسْبَق إليه، ولا يعنى المخالفة للقديم ولا الإتيان بنقيضه، وإنما يعنى الإضافة والزيادة عليه، فإن كانت الزيادة فى أمورالدين سميت بدعة، وإن كانت فى أمور الدنيا سميت إبداعاً بمعنى الاختراع والابتكار وغيرهما من المترادفات.

ب . الإبداع فى الاصطلاح: تعددت تعريفات علماء النفس والاجتماع وغيرهم من الغربيين والعرب المسلمين لمفهوم الإبداع، ومن تلك التعريفات مايلى :

١ . فقد عُرِّف الإبداع لدى الغربيين على أنه: استعداد أو قدرة على انتاج شئ ما جديد وذى قيمة ، وقيل هو: (الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التى تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذى قيمة من قبل الفرد والجماعة)[٢].

كما عُرِّف على أنه: (عملية ينتج عنها عمل جديد يرضى جماعة ما، أوتقبله على أنه مفيد)، ويرى فروم أن الإبداع: (إنتاج شئ جديد يراه أو يسمعه الآخرون) أما سيمسون وينجر فيرى

---

(١) مختار الصحاح ج١ ص ٧٣،محمد بن أبى بكر الرازى، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،ط١٤١٥هـ ١٩٩٥م ـ المصباح المنير ج١صـ ٣٨ أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى، المكتبة العلمية بيروت ـ لسان العرب ج٨ صـ ٦ـ ٨، محمد بن مكرم بن منظور، دارصادر بيروت، ط الأولى.

(٢) الإبداع العام والخاص، ألكسندرو روشكا، ترجمة د/ غسَّان عبد الحى أبو فخر صـ ١٩، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٤٤ جمادى الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م .

أنه: (المبادرة التى يبديها الشخص فى قدرته على الانشقاق من التسلسل العادى فى التفكير إلى ما يخالف فيه النمط المعتاد) [١].

٢ . أما عن الإبداع عند علماء النفس والاجتماع المسلمين:

فيُعرِفه الدكتور/ عبد الحليم محمود السيد[٢] بقوله: (هو نشاط الإنسان الذى يتصف بالابتكار والتجديد، وهو يمثل النشاط الذى يقف على العكس من الاتباع والتقليد، ويندرج تحت معنى الإبداع: الاختراع والاكتشاف، والإبداع الفنى والأدبى والعلمى ...) [٣].

ويقول الدكتور / عبد القادر هاشم رمزى: (هو الأداء المتميز على غير مثال سابق فى تميزه، أوهو بذل الوسع فى أداء الفعل الإسلامى أداءً متميزاً نسقياً إسلامياً طلباً لرضوان الله سبحانه وتعالى) [٤]، ويقصد هنا بالفعل الإسلامى . كما يبين فى موضع آخر . كل فكرة، أو نية، أوعمل أو نشاط، ينطلق من العقيدة الإسلامية ويرتبط مساره بالشريعة الإسلامية، ويحقق نتائج مباشرة مشروعة، طلباً لمرضاة الله . سبحانه وتعالى [٥].

مما سبق من تعريفات يتضح أن: تلك التعريفات ركزت على بيان ماينبغى أن يتوفر فى الشئ المُبدَع من صفات بأن يكون جديداً، وذا قيمة، وملائماً، وغير تقليدى، كما أشارت إلى الهدف من العملية الإبداعية ويتمثل فى إرضاء جماعة ما، أونفع المجتمع.

كما أن هناك من رأى أن الإبداع هو انشقاق وخروج على النمط التفكيرى المعتاد دون وضع أى ضوابط أو حدود لهذا التفكير، ويظهر هذا فى تعريفات علماء الغرب وتعريف دكتور عبد الحليم، ومن الواضح أن تلك التعريفات لم تربط عملية الإبداع بأى قيم دينية أو أخلاقية يلتزم بها المُبدِع ويدور فى حدودها، ولم تحدد نية أوغاية للإنسان من وراء إبداعه سوى إرضاء جماعة ما، أوتقديم نفع للمجتمع، مع أن ما يرضى جماعة قد لايرضى أخرى، وهذا لا يتفق مع قيمنا الإسلامية والتى من أهمها طلب مرضاة الله بكل ما يقوم به الإنسان من أعمال.

أما بالنسبة لتعريف" دكتور هاشم " فمع أنه ربط مفهوم الإبداع بالإسلام أداءً وغاية إلا أنه أغفل ما أشارت إليه التعريفات السابقة من التميز بالجدة وتقديم النفع فى شتى مجالات الحياة، فهذا التعريف أقرب إلى مفهوم الإتقان والإحسان منه إلى الإبداع والابتكار.

---

(١) التفوق العقلى والابتكار، دكتور عبد السلام عبد الغفار صـ ١٢٦ وما بعدها دار النهضة العربية ١٩٧٧م .

(٢) أستاذ علم النفس كلية الاداب جامعة القاهرة.

(٣) الإبداع، دكتور /عبد الحليم محمود السيد صـ ٧ دار المعارف ١٩٧١م.

(٤) مفهوم الإبداع فى النسقية الإسلامية، بحث منشور بمجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م صـ ٢٦،٣٢ ، مجلة فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى .

(٥) المرجع السابق صـ ٢٢.

وبالجمع بين تلك التعريفات السابقة يمكن القول أن الإبداع هو: قدرة الإنسان على استثمار الملكات الربانية، والخصائص الإنسانية للتوصل إلى كل جديد ـ غير مسبوق ـ نافع فى شتى مناحى الحياة، بما يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية.

ثانياً: بين الإبداع وبعض المصطلحات الأخرى.

هناك عدد من المصطلحات الأخرى ذات الصلة بالمصطلح السابق، والتى قد يستخدمها البعض أحياناً كمترادفات له؛ لذا كان لابد من الوقوف عليها لمعرفة مدى قربها أوبعدها من هذا المصطلح وعلاقتها به، ومن أهم تلك المصطلحات وأشهرها ما يلى:

١ . الموهبة :

الجذر اللغوى للكلمة هو الفعل وهب، يقال: وهبت له هبة وموهبة ووهبا إذا أعطيته، ووهب له الشيء فهو يهب هبة، والموهبة الهِبة بكسر الهاء وجمعها مواهب، والموهبة العطية [١].

ويعرفها المتخصصون بأنها: استعداد فطرى للنبوغ والتفوق فى مجال معين من المجالات الحياتية [٢].

والموهبة لا تعنى الإبداع، إذ قد تتوفر الموهبة لدى الإنسان ولا يتمكن من الإبداع؛ لعدم توفر الفرص والعوامل اللازمة، كما يرى علماء النفس أن الموهبة ألصق بالأطفال وتكون فى المجالات غير الأكاديمية، أما الإبداع فهو مرتبط بنشاطات الكبار ويكون فى كل مجالات الحياة [٣]، لكن من الممكن أن تعتبر الموهبة عامل مهم من عوامل الإبداع كما سيتبين فى حينه.

٢ . العبقرية :

العبقرية نسبة إلى عبقر، وهو اسم لموضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أوجودة صنعته وقوته، فقالوا عبقري فكان العرب كلما رأو شيئاً غريباً مما يصعب عمله ويدق، أو شيئاً عظيماً فى نفسه نسبوه إليه.

وقيل نسبة إلى عبقر، قرية باليمن تُوشَى فيها الثياب والبسط، فثيابها أجود أنواع الثياب، ويضرب بها المثل فى كل شئ رفيع، فكلما بالغ العرب فى وصف شئ بلغ منتهاه فى الجودة والدقة نسبوه إليه [٤] .

---

(١) ينظر: لسان جـ ١ صـ٨٠٣-٨٠٦.

(٢) التفوق العقلى والابتكار عبد السلام عبد الغفار صـ ٣٠ دار النهضة العربية١٩٧٧م، أصول علم النفس وتطبيقاته ، دفاخر عاقل صـ٥٨ دار العلم للملايين بيروت، ط٣ ١٩٧٨م.

(٣) ينظر: العبقرية والإبداع والقيادة " دراسات فى القياس التاريخى "، دين كيث سايمنتن، ترجمة د/ شاكر عبد الحميد، مراجعة د/ محمد عصفور ، صـ ٨ سلسلة عالم المعرفة عدد ١٧٦ صفر ١٤١٤هـ أغسطس ١٩٩٣م ، رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس، دكمال إبراهيم مرسى صـ ٢١، دارالقلم الكويت ط٢ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٤) ينظر :مختار الصحاح ج١ صـ ١٧٢، لسان العرب ج ٤ صـ ٥٣٤ مرجع سابق.

أما فى الاصطلاح : فهناك فى التراث الغربى ما يشير إلى أن أصل مصطلح العبقرية يعود إلى الكلمة اللاتينية genius وهى تشير إلى الروح أو القوة الإلهية التى تحفظ الإنسان من المهد إلى اللحد، كما تشير إلى الروح الذكرى المهيمن على بيت معين أو أسرة معينة .

وفى التراث السيكولوجى الحديث هناك تعريفات عديدة خاصة بالمصطلح، لكنها تتفق فيما بينها فى أنها تشي إلى القوى والطاقات والإنجازات العقلية الفائقة وغير العادية [١] .

والعبقرى هو إنسان عنده ملكة خارقة لايشاركه فيها أحد، هى التى تجعله يأتى بأعمال فائقة

فى ناحية من النواحى التى يقدرها المجتمع [٢].

والعبقرية إذا كانت بمعنى القوى الخارقة فإنها لا تعنى الإبداع، إذ المبدع لا يحتاج إلى قوة خارقة، كما أن الخوارق قد انتهى زمانها بانتهاء زمان الأنبياء، ولكن إذا كانت تعنى التفوق العقلى فهو مرحلة من مراحل الإبداع وعامل من عوامله.

٣ . الاختراع والابتكار :

إن الدلالة اللغوية لهذين المصطلحين تدور كلها حول الجدة والسبق والإحداث، فيقال : اخْترعَ الشيء ارْتَجَلَه، وقيل اخْترعه اشتقَّه، ويقال أَنشأَه وابْتَدَعه[٣]، و"ابتكر" تكلف البكور ،

وابتكر الفاكهة و نحوها أخذ باكورتها، وابتكر الشيء ابتدعه غير مسبوق إليه[٤]، وبالتالى يبدو ترادف هذين المصطلحين مع مصطلح الإبداع فى المعنى اللغوى.

أما فى الاصطلاح فإن من العلماء من يفرق بين دلالة هذه المصطلحات، فيجعلون الاختراع والابتكار من مراحل الإبداع وضوابطه، فالإنسان يرتجل فكرة مبتكرة جديدة ثم يبدع فى تنفيذها وصياغتها، ففى مجال الإبداع الأدبى . على سبيل المثال . يرى علماء النقد الأدبى: " أن الاختراع خلق المعانى التى لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر باللفظ المستظرف الذى لم تجر العادة بمثله، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتى بمعنى مخترع فى لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق"[٥] .

ومن المكن . قياساً على هذا الرأى . اعتبار الاختراع والابتكار من مراحل الإبداع وضوابطه، فأى شئ يبدأ بفكرة مرتجلة، ولكى يتحقق الإبداع فلابد أن تكون الفكرة مبتكرة وجديدة، ثم تكون

---

(١) العبقرية والإبداع والقيادة، دين كيث سايمنتن، صـ ٧ مرجع سابق.

(٢) هناك من يرى أن العبقرى هو من يأتى بأفعال جنية خارقة عن طريق إلها م يأتيه من عالم آخر غير عالمنا الحسى، ينظر : رعاية النابغين دكمال إبراهيم مرسى صـ ١٨، ومثل هذا التعريف لا يتسق مع عقيدتنا الإسلامية الصحيحة، كما أنه من الممكن أن يطلق على السحرة لا على النابغين.

(٣) لسان العرب ج٨ ص٦٧.

(٤) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ج١صـ١٤٠، تحقيق مجمع اللغة العربية.

(٥) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيروانى صـ ١٦٠ مكتبة المصطفى للنشر الإلكترونى .

المرحلة النهائية وهى التنفيذ والإخراج، وبالتالى يكون الاختراع والابتكار من لوازم الإبداع، كما أن الإبداع يضيف إلى الاختراع والابتكار الإتقان والجدة والإحسان.

ثالثاً: بين إبداع الخالق ﷻ وإبداع الخلق.

وهناك فارق بين استخدام مصطلح " الإبداع " للدلالة على خلق الله وإبداعه، واختراع الإنسان وابتكاره، فالإبداع المطلق لله ﷻ " فقد بدأ الخلق على ما أراد من غير مثال تقدمه" [١]، ومن صفاته البديع، وهو الذى لا عهد بمثله فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى كل أمر راجع إليه فهو البديع المطلق، ولا يليق هذا الاسم مطلقاً إلا بالله سبحانه وتعالى وتنزه عن الشريك والشبيه [٢] ، فالابداع المطلق بمعنى الخلق والإيجاد من العدم لا يكون إلا لله ﷻ، إذ العلاقة بين الخلق والإبداع دقيقة ورقيقة .

قال الإمام المناوى: الخلق تقدير أمشاج ما يراد إظهاره بعد الامتزاج والتركيب ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء، ومنه خلق السموات، ويستعمل في إيجاد شيء من شيء نحو خلقكم من نفس واحدة، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله وأما بالاستحالة فقد جعله الله لغيره أحيانا [٣].

ويقول الإمام الجرجانى: الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء، والإبداع أعم من الخلق ولذا قال: "بديع السموات والأرض" و قال: "خلق الإنسان" و لم يقل بدع الإنسان [٤] .

فحقيقة الإبداع إيجاد الشئ بعد أن لم يكن هو ولا مادته، أو كانت مادته موجودة دون صورته، والأول هو الخلق والتكوين من العدم، وهو من خصائص الله تعالى بارئ الكائنات، فقد خلق الكون ومَنْ فيه وما فيه من العدم، فلم يكن لمادته ولا لصورته وجود قبل خلقه وتكوينه، والخلق هو الإبداع الحقيقى، وليس من خالق غير الله .

أما فى مجال العلوم التى للإنسان فيها تأثير، أو فى مجال الفنون والآداب، فالإبداع هو"الصنع" فحسب، أى أن مادة الشكل المُبدَع لها وجود سابق، والجديد الذى طرأ عليها هو التأليف من عناصرها، فالطائرة مثلاً كائن مُبْدَع من حيث صورته وشكله وحركته...، أما المادة الأولية المصنوع منها الشكل الهندسى " الطائرة " فهى من خلق الله وليس للإنسان فى إيجادها أى أثر؛

---

(١) لسان العرب ج٨ صـ ٥ مرجع سابق.

(٢) موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها فى استخلاف الإنسان فى الأرض، أد عقيل حسين عقيل ج١٠ صـ ٢٠٩، دار ابن كثير دمشق بيروت ، ط١ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ج١ص٣٤٢، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط/ ١٤١٠هـ تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ج١ص٢١، دار الكتاب العربي – بيروت ط١/ ١٤٠٥، تحقيق : إبراهيم الأبياري.

لأن وظيفة العلوم المادية هى الكشف أو الاكتشاف ثم الاستفادة من تسخير خواص المادة للانتفاع [١]، هذا بالإضافة إلى أن العقل الذى صنع وأبدع هو من خلق الله وصنعته وإبداعه!

مما سبق يتضح أن: مصطلح الإبداع له مدلولان الأول يطلق ويراد به إيجاد الشئ من العدم، وهذا هو الخلق والإبداع الحقيقى ولا يكون إلا لله تعالى، والثانى يطلق ويراد به اكتشاف الأشياء وتركيبها أو تصنيعها من عناصر أو مواد أولية، وهذا النوع من الإبداع هو المنسوب إلى البشر وهو بمعنى الابتكار والاختراع وهذا هو المقصود فى هذا البحث .

المطلب الثانى: حقيقة الإبداع وعوامله.

لقد تعددت النظريات وتباينت الآراء التى تفسر حقيقة وجود الإبداع لدى بنى البشر، فقديماً كان هناك من يرى أن الإبداع قائم على الحدث والإلهام، ولا علاقة له بالتجربة والسير المنطقى، فالإبداع عندهم سلوك غير إرادى يقوم به الفرد لاحول للفرد فيه ولا قوة [٢].

بل قد وصل الأمر بالبعض إلى تفسير الإبداع على أنه عَرَض من أعراض الصراعات النفسية المكبوتة داخل الإنسان [٣]، تلك الصراعات تجعله يشعر بالتعاسة والقصور وعدم القدرة على ضبط النفس، فيندفع تلقائياً إلى العمل والابتكار؛ منفثاً عما بداخله من صراعات من جانب، ومحاولاً أن يكون موضع احترام وتقدير وإطراء الآخرين من جانب آخر [٤] .

وفى تفسير آخر للإبداع يرى فيه أصحابه أن ملكة الإبداع تتوارث عبر الأجيال والأسلاف، وهؤلاء يعتقدون بأن السلوك الإنسانى موجه فى الغالب من خلال ما تفرضه ما يسمى بالطبيعة الإنسانية، وهو بمثابة الأساس الغريزى للتفكير والنشاط [٥].

ولا يخفى ما فى تلك التفسيرات والفلسفات من بعد عن تصوير حقيقة الإبداع ووجوده داخل الإنسان، إذ إن الحقيقة .كما أثبتت الدراسات الحديثة . أن الإبداع لا يتطلب قوة خارقة تولد فى الإنسان ليكون مبدعاً، ولا إلهامات غيبية، ولا يشترط أن يكون الآباء والأجداد من المبدعين حتى يكون الإنسان مبدعاً، بل إن ملكة الإبداع قد توجد لدى كثير من الناس ولكن بنسب متفاوتة وفى مجالات مختلف وفقا لسنة الاختلاف أو ما يعرف بالفروق الفردية بين البشر " حيث تتفاوت

---

(١) مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير، دكتور /عبدالعظيم المطعنى صـ٣، مكتبة وهبة، ط١/١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٢) يقول أفلاطون الإنسان المبدع كائن أثيرى مقدس غير قادر على الابتكار والإبداع من تلقاء نفسه ينظر :رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس صـ٦٣.

(٣)القائل بهذه النظرية هو سيجمند فرويد حيث يقول: إن الدافع الجنسى يتم إعلاؤه عند كبته وصراعه مع جملة الضوابط والضغوط الاجتماعية، ويوجه هذا الدافع بالتالى إلى دافعية مقبولة اجتماعياً، ثم يتسامى نحو أهداف ومواضع ذات قيمة اجتماعية إيجابية، الإبداع العام والخاص، الكسندرو روشكا صـ ٢٤ .

(٤) ينظر : التفوق العقلى والابتكار، دكتور عبد السلام عبد الغفار صـ ٢٥٤، الإبداع العام والخاص، الكسندرو روشكا صـ ٢٤، رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس صـ ٤٦، ٤٧.

(٥) النبوغ والقيادة والإبداع، دين كيث صـ ٤٩.

القدرات العقلية قوة وضعفاً من شخص إلى آخر، أوعند الشخص الواحد خلال مراحل حياته . تماماً كالقدرات الجسدية . فقد تقوى حتى تخترق بيئة الكون الكبير فتتعرف على مكوناته وتقف على أسرار قوانينه، وتُسَخِر هذه المكونات والقوانين حسب الأهداف والحاجات التى يتوجه إليها صاحب هذه القدرات. وقد تضعف هذه العقلية حتى يعجز الإنسان عن فهم ما يجرى فى بيئته البيتية والإقليمية المحدودة فيسخره الكون وتتقاذفه الأحداث والأهواء . وقد تنطفئ هذه القدرات العقلية حتى لا يعود الإنسان يعرف من أمره شيئاً " [١].

يقول دكتور محمد عثمان نجاتى: (لقد بدأ الاهتمام بدراسة القدرات الإبداعية وقياسها فى النصف الثانى من القرن العشرين، واتضح أنها موجودة عند جميع الناس بدرجات متفاوتة، فهى موجودة عند معظم الناس بدرجة متوسطة أو قريبة من المتوسطة، وعند قلة بدرجة منخفضة أو منخفضة جداً، وعند قلة أخرى بدرجة عالية أو عالية جداً . والفئة الأخيرة . أصحاب القدرات الإبداعية العالية جداً . هم الذين لهم الفضل فى اكتشاف القوانين والنظريات الجديدة فى العلوم والرياضيات، والوصول إلى التنظيمات الفريدة والجديدة للألوان والخطوط، وللكلمات والمعانى فى الشعر والأدب ....) [٢] .

وبالتالى فإن كل إنسان لديه القدرة على الإبداع وتقديم الجديد فى أى ميدان من ميادين الحياة المختلفة كل حسب طاقته وقدرته، فهناك من الناس من يقوم بأداء عمله بطريقة جديد مبتكرة متقنة لا يوجد فيها تقليد للآخرين، بغض النظر عن طبيعة هذا العمل، فقد يكون هذا الإنسان معلماً، أو باحثاً، أوصانعاً، أو زارعاً، أو إدارياً، أو عاملاً، أوطبيباً،... بل قد تكون ربة بيت.

وهناك من الناس من حباهم الله . تعالى . بنصيب أعلى من الملكات والقدرات العقلية لا تمكنه من إنجاز عمل ما بطريقة جديدة وحسب وإنما تمكنه من الإضافة إلى العمل والابتكار فيه، وهؤلاء هم الذين يُنسب إليهم الإبداع غالباً .

غير أن هذا الإبداع لا يتحقق عند الإنسان ولا يؤتى ثماره إلا إذا توفر له الاستعداد الداخلى، والمناخ الملائم، وذلك فى صورة عدد من العوامل، منها ما يتعلق بشخص الإنسان المبدع واستعداداته وما يمتلكه من قدرات، ومنها ما يتعلق بالمحيط الخارجى للإنسان وما يمده به من علوم ومعارف وتجارب وخبرات، بالإضافة إلى ما يحيط به من ظروف بيئية ملائمة، ولا يمكن الاستغناء بأحد المصدرين عن الآخر، وبالتالى فإنه يمكن تقسيم عوامل الإبداع إلى نوعين : ذاتية أو شخصية وهى العوامل الفطرية، وأخرى خارجية وهى المكتسبة من المحيط الخارجى أو المساعدة للإنسان ليبدع، ويندرج تحت كل نوع من النوعين عدد من العوامل الفرعية، تلك

---

(١) أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلانى صـ ٧٣،٧٤، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ط الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٢) علم النفس فى حياتنا اليومية صـ، دار القلم الكويت ١٩٧٧م.

العوامل إذا تجمعت فى الإنسان أبدع . بتوفيق الله . وأنتج، وإن كانت تتفاوت تلك العوامل فى نسبة تأثيرها فى تحقيق عملية الإبداع، ويتضح هذا مما يلى.

أولاً : العوامل الذاتية :

١ . الاستعداد الفطرى " الموهبة " .

هناك من يرى أن الإنسان يولد مبدعاً، وأن الإبداع صفة أو ملكة غريزية فى الإنسان ورثها عن الآباء عن طريق ما يعرف بـ " الجينات الوراثية "، وبالتالى فإن الإبداع يكون مركوزاً فى فطرة الإنسان وطبيعته، وانطلاقاً من تلك الفطرة فإنه يمارس نشاطاته وسلوكياته الإبداعية التى تفرضها عليه طبيعته [١] .

ومع أهمية الاستعداد الفطرى للإبداع ودوره فى خلق ملكة الإبداع عند الإنسان إلا أن هناك دراسات بحثية أثبتت أن دور الوراثة فى تنمية القدرات الإبداعية ليس كبيراً [٢]، والموهبة . قد سبق تعريفها . وهى ما يزود الله به من شاء من عباده من استعدادات فطرية وقدرات عقلية وملكات نفسية تولد مع الإنسان وتنمو بنموه ولا دخل للإنسان فيها قال تعالى :﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٣].

غير أن هذه الموهبة فى ذاتها لا يمكن بمفردها أن تحقق الإبداع، إذ إنها تتطلب اكتشاف ورعاية وتدريب، وهذا يتمثل فى كثير من العوامل الأخرى، فالموهبة مثل العود يغرس والكسب ما يمد به الغرس من ماء وغذاء لينمو ويزهر ويثمر [٤] .

من هنا كان اهتمام الإسلام بالمواهب والبحث عنها وتنميتها، وسيتضح هذا فى المبحث التالى.

٢ . الذكاء

إن العقل هبة من الله ﷻ لخلقه وهوآية من آياته الدالة على إبداعه وإنعامه ، ولا يستشعر تلك النعمة إلا من أبصر فاقدى العقل وأحوالهم [٥] التى تجعل اللسان ينطق بحمد المنعم، ومن حكمة الله تعالى وسنته فى خلقه أن جعل الناس متفاوتين فى العقل فمنهم الفائق شديد الذكاء، ومنهم

---

(١) ينظر : العبقرية والإبداع والقيادة دراسات فى القياس التاريخى، دين كيث سايمنتن صـ ٤٩ مرجع سابق.

(٢) من تلك الدراسات : دراسة دافنبورت سنة ١٩٦٧م، ودراسة ريتشموند ١٩٦٨م والتى أثبتت أن دور المعطيات الوراثية محدود فى تنمية الإبداعى، وكذلك دراسة بازولو وثورسين ومدياس سنة ١٩٧٢م على الأخوة التوائم، والتى أثبتت أن دور العوامل الوراثية فى الذكاء أكثر من دورها فى القدرات الإبداعية، Torrance,E.P. Psychology of gifted children and youth . in Cruichshank, W.M. Psychology of exceptional child and youth. 4th ed., New York Hall, 1980, Pp.469-496.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٩.

(٤) ينظر للتفصيل : مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير د عبد العظيم المطعنى صـ ٤٤، ٤٥ مرجع سابق.

(٥) للوقوف على أحوال فاقدى العقل بدرجاتهم المختلفة ينظر للباحث : ذوو الاحتياجات الخاصة وموقف الإسلام منهم، صـ ٩٣وما بعدها رسالة دكتوراه بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر ٢٠٠٧م.

المتوسط، ومنهم من هو دون المتوسط فى ذكائه، وقد اتفق الباحثون قديماً وحديثاً على تلك الحقيقة ووضع العلماء مقاييس لدرجة الذكاء عند الأفراد تم التعارف عليها من تلك المقاييس ما يعرف بمقياس " بينيه سيمون ووكسلر بلفيو وتيرمان "[١] .

والعقل والذكاء يلعبان دوراً مهماً فى عملية الإبداع، إذ لا ينتظر الإبداع من ضعيف العقل أو فاقده فإنه لا يحسن القيام بأمر نفسه. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن: ما هى درجة الذكاء التى ينبغى توفرها فى العقل ليتمكن صاحبه من الإبداع ؟

لقد أثبتت نتائج الأبحاث التى أُجريت فى هذا الميدان أن الذكاء الخارق أو المرتفع ليس شرطاً فى الإبداع، إذ إن ملكة الإبداع من الممكن أن تتوفر لدى متوسطى الذكاء من الناس .

" فلم تشر غالبية الأبحاث إلى علاقات عالية على مستوى أداء الأفراد على اختبارات الذكاء واختبارات الإبداع، إذ تكون العلاقة بينهما طردية فى مستويات الذكاء العادى وما دونه، وتختفى الفروق بينهما عندما ترتفع مستويات الذكاء إلى ما بعد ١٢٠درجة، وهذا يؤكد أنه ليس بالضرورة أن يكون كل ذكى مبدعاً، ولكن بالضرورة لكل مبدع أن يتميز بالحد الأدنى من الذكاء " ذكاء متوسط أو عادى "[٢].

يقول د/ كمال إبراهيم مرسى: " والإبداع سواء كان قدرات عقلية أو سمة شخصية، موجود عند جميع الناس بدرجات متفاوتة، ولا يقتصر وجوده على المتفوقين عقلياً، كما كان يرى السابقون، بل يظهر فى أعمال كثيرة يقوم بها أشخاص عاديون فى الذكاء ....، وهذا ما جعل " تورانس " و " جيلفورد " ينصحان بالبحث عن المبدعين فى جميع المستويات العقلية والدراسية والاجتماعية، وبالبحث عن الإبداع فى جميع الأنشطة المفيدة للفرد والمجتمع"[٣] .

ويفهم من هذا أن الإبداع لا يتطلب ذكاءً خارقاً أو درجةً عالية منه، إذ قد يكون الفرد على درجة عالية من الذكاء وليست لديه المقدرة على الإبداع والإجادة فى أى ميدان من ميادين الحياة، وعلى العكس من ذلك فقد يكون الفرد متوسط الذكاء ومع ذلك لديه المقدرة على الإبداع وتقديم الجديد فى مجال ما من المجالات الحياتية .

٣ . القدرة على التفكير والتأمل :

---

(١)هى مقاييس الذكاء المتعارف عليها بين العاملين فى مجال علم النفس والاجتماع، وهى عبارة عن عدة اختبارات يقوم بها متخصص ومن خلالها يتعرف على نسبة ذكاء المختَبر، والمتعارف عليه أن حصول الفرد على أقل من ٧٠ درجة تخلف عقلى، ومن ٧٠- ٨٠ على الحدود بين الغباء والتخلف، ومن ٨٠- ٩٠غباء، ومن ٩٠-١١٠ متوسط الذكاء، ١١٠-١٢٠ذكى، ومن ١٢٠-١٤٠ ذكى جداً، ومن ١٤٠ فأعلى عبقرى، ينظر: سيكولوجية الطفل غير العادى – د/ عبد السلام عبد الغفار، د يوسف الشيخ صـ ٢٠، ١٦٥، ١٦٦ – دار النهضة العربية – ١٩٦٦م.

(٢) ينظر : الإبداع العام والخاص، ألكسندرو روشكا صـ ١٦، ٥٨،٥٩ مرجع سابق، ومحاضرات فى المتفوقين، أعضاء هيئة التدريس بقسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية جامعة الزقازيق، صـ ١١٢.

(٣) رعاية النابغين صـ ٢٠.

قد يوهب الإنسان العقل لكنه يعطله عن وظيفته الأساسية وهى التفكر، وقد عاب القرآن الكريم على الذين عطلوا عقولهم عن التفكير فى حقائق الأمور ؛ للتميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والنافع والضار .... فبين أنهم ﴿ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (١) ؛ ذلك لأن العقل الذى لا يفكر كالآلة التى لا تعمل، فلا يرجى منه نفع ولا خير، ولن يأتى بجديد، ولكنه سيظل منقاداً لمن سبقوه، معتمداً على كل ما جاؤا به وقدموه فى ميادين الحياة المختلفة، فهو يقف على الآلة يديرها لا يدرى من أمرها شيئا فى كيفة عملها وصنعها واختراعها، وسبب عطلها وبالتالى كيفية إصلاحها، ومثله كالذى يأكل رغيف الخبز، ولا يدرى كيف وصل إليه بهذه الصورة التى هو عليها، وربما لو فكر هذا العامل فى حقيقة تلك الآلة لأمكنه أن يطور فيها، أو على أقل تقدير أن يصلحها عندما تتعطل .

لذا كان للتفكير والتأمل وإعمال العقل دور مهم فى عملية الإبداع والإنتاج والابتكار، بل إنه أساس الإبداعات والاختراعات فى كل العصور والأزمان، فما من مبدع فى مجال من المجالات وصل إلى ما وصل إليه إلا بعد طول فكر وتأمل (٢).

والتفكير . كما يرى علماء النفس . : عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير، يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة .

وينقسم التفكير إلى نوعين : ١ . تفكير بسيط أو كما يسميه البعض " تقاربى أو محدد " وهو التفكير اليومي المعتاد الذي يكتسبه الإنسان بصورة طبيعية، وهو يشبه القدرة على المشي أو الكلام ... .

٢ . التفكير الحاذق أو "التباعدى " وهو الذي يتطلب تعليماً منظماً هادفاً، ومراناً مستمراً حتى يمكن أن يبلغ أقصى مدى له، وهذا النوع . كما يرى الباحثون . ليس مجرد قدرة طبيعية ترافق النمو الطبيعي للطفل وحسب، ولكنها مهارات تُنمى عند الإنسان منذ طفولته ويتدرب عليها حتى تصير ملكة راسخة فى عقله، وهذا النوع من التفكير هو ما يثمر الإبداع ويرتبط به، وهناك من يقسم هذا النوع من التفكير " الحاذق أو التباعدى " إلى عدد من الأنواع ومنها التفكير الإبداعى ويُعرفه بأنه : نشاط عقلي مركب وهادف توجهه رغبة قوية في البحث عن حلول، أو التوصل إلى نتائج أصيلة لم تكن معروفة سابقاً .

ويرتبط التفكير الإبداعى بجملة من الخصائص أو المهارات فى مقدمتها الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والإفاضة وهى تعنى القدرة على إضافة تفاصيل جديدة ومتنوعة لفكرة ما (٣).

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٧٠.

(٢) ذكر أن مكتشف قانون الجاذبية بنى اكتشافه وأسس نظريته عقب فترة من التأمل والتفكير عاشها فى حديقة من الحدائق، حيث كان يجلس أسفل شجرة فسقطت إحدى ثمارها على الأرض فسأل نفسه عن الحكمة من سقوطها على الأرض دون صعودها لأعلى ؟ .....، ومن هنا نشأ التفكير فى هذه النظرية المهمة .

(٣) ينظر:الإبداع العام والخاص صـ ٥٢ وما بعدها.

من هنا تتضح أهمية التفكير وأنه عامل مهم من عوامل الإبداع، فينبغى أن تُنمى تلك الملكة فى الأطفال منذ نعومة أظفارهم وأن يتربوا عليها شباباً وكباراً.

ثانياً: العوامل خارجية :

إن الاستعداد الفطرى أو الموهبة أو الذكاء .... ليست وحدها هى العوامل الرئيسة فى خلق الإبداع وتكوينه عند الإنسان، بل إنها بمثابة البذرة التى تحتاج إلى الرعاية والإمداد بالماء والغذاء والبيئة الصالحة للنمو؛ لذا . فالإضافة إلى ماسبق من عوامل . لابد من توفر عدد من العوامل الأخرى والتى تعمل على تنمية ملكة الإبداع ورعايتها فى الإنسان حتى تؤتى ثمارها، وتلك هى العوامل الخارجية، وأقصد بها العوامل التى يكتسبها الإنسان من المحيط الخارجى الذى يعيش فيه منذ مولده.

" حيث يرتبط النمو العقلى والوجدانى للطفل الصغير بكثير من العوامل بعضها موروث والبعض الآخر تشكله البيئة التى يعيش فيها الطفل بمن فى ذلك الأسرة والأصدقاء، ثم الاهتمام بالتعليم واكتشاف الموهبة التى تحتاج إلى رعاية، فربما ولد الإنسان موهوباً ولديه استعداد للإبدع ونتيجة تعرضه لعوامل بيئية قاسية قتلت موهبته وقضى عليها " [١].

ومن أهم العوامل البيئية المؤثرة فى القدرات الإبداعية لدى الإنسان فى مراحل حياته المختلفة ما يلى :

١ . المناخ الأسرى الملائم:

الأسرة هي المحضن الثاني للإنسان بعد رحم أمه، فيها يتربى الطفل ويكتسب معارفه ومهاراته، وإذا كان الإنسان كجنين يتأثر تكوينياً في رحم الأم بما يرثه من الوالدين من صفات فطرية، فإنه كذلك في ظل أسرته . كطفل . يتأثر في تكوينه السلوكي والنفسي والمهارى بوالديه ومربيه تأثراً يشكل شخصيته ويصقلها.

فللأسرة . كما أجمع المربون . دور عظيم وبارز فى تكوين شخصية الإنسان وتشكيل مواهبه وقدراته ومهاراته؛ ذلك لأن الطفل تتبلور سلوكياته، ويكتسب عاداته وقيمه، وتتكون شخصيته، وتنمى مهاراته فى المراحل الأولى من حياته، أى منذ الطفولة المبكرة، فالطفل فى هذه المرحلة يكون غضاً طرياً سهل التشكيل مستوعباً لكل ما يتلقاه من معلومات وأفكار، متأثراً بكل ما يمربه من ظروف وأحداث، وقد أشار الرسول ﷺ إلى تلك الحقيقة فى الحديث الشريف الذى يرويه سيدنا أبو هريرة ﷺ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) [٢] . "ويفهم من هذا الحديث أن

---

(١) الموهوب كيف نصنعه، عصام ضاهر، دراسة بمجلة الوعى الإسلامى الكويت عدد ٥٣٠ ص٦٢.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الجنائز- باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه جـ١ صـ ٤٥٦ حديث رقم ١٢٩٢ - محمد بن إسماعيل البخاري – دار بن كثير اليمامة بيروت ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م ط ٣ تحقيق مصطفي

الوالدين يجعلان هذه الفطرة مستقيمة أو منحرفة عن مسارها وذلك حسب التوجيه الذى يوجهونه به أو التربية التى يربيانه عليها، ومن ثم كان للتربية
دورها المهم فى حياة البشرية " (١).

ومن هنا يتضح دور الأسرة وأثرها فى تنمية الملكات الإبداعية والمواهب عند الطفل وتشجيعه عليها أو وأدها فى مهدها، وهذا ما أكدته الدراسات النفسية والاجتماعية .

" لقد أظهرت كثير من الدراسات التى وقفت على تأثير الأسرة أن الأسلوب التربوى المعتدل للآباء تجاه أبنائهم بما يحتويه من التشجيع على الاستقلالية العقلية، وخلق الظروف المناسبة لتطور الاهتمامات والاستعدادات فى مجالات النشاط المختلفة يمكن أن تسهم فى تطور الشخصية المبدعة " (٢) .

وقد أُجريت بعض البحوث فى هذا المجال بمصر، وتبين من خلالها أن أساليب معاملة الوالدين للأبناء التى يغلب عليها طابع الرفض والإكراه والقهر وعدم السماح بالاستقلال فى الفكر والعمل ترتبط بانخفاض قدرات الإبداع لدى الأبناء، كما أن معاملة الوالدين للأبناء التى يغلب عليها طابع التقبل وعدم الإكراه وإتاحة الشعور بالاستقلال ترتبط بارتفاع قدرات الإبداع لدى الأبناء (٣)

وبالتالى فمن الممكن أن يولد لأسرة ما طفل يمتلك موهبة معينة، ولديه قدرة على الإبداع والابتكار، غير أن تلك الأسرة بسوء تصرفات أفرادها وبعدم توفير المناخ الأسرى الملائم . من الممكن . أن تقتل فى طفلها مواهبه وملكاته التى فطره الله عليها ووهبه إياها، فتكون قد قضت على النبتة عند ظهورها.

٢ . المؤسسات التعليمية :

إن المؤسسات التعليمية على اختلاف مراحلها وتنوعها هى العامل الثانى المشارك للأسرة فى تكوين شخصية الإنسان وصقلها، ومن ثم تنمية مهاراته الإبداعية أو إعاقتها، وهذا ما أكدته الدراسات النفسية والاجتماعية.

يقول د كتور عبد الحليم محمود السيد: " لخبرات التلميذ التربوية فى المدرسة أثر كبير على تنمية قدراته الإبداعية سواء بطريقة مباشرة فيما يتصل بالمواد التى يتعلمها فى المدرسة، أو بطريقة غير مباشرة فيما يتصل بما يكتسبه من اتجاهات إيجابية أو سلبية نحو المواقف

ديب البغا، صحيح مسلم - كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة – جـ٤ صـ٢٠٤٧ حديث رقم ٢٦٥٨ – مرجع سابق.

(١) البيئة التربوية للطفل فى الإسلام د/ ليلى خميس السقا، د/ يوسف محمد شراب صـ٣٢٤، ٣٢٣، ٢٩٥ بتصرف دائرة الثقافة والإعلام = الشارقة سلسلة رسائل جامعية ط الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

(٢) الإبداع العام والخاص صـ ٨٤ .

(٣) ينظر الإبداع د عبد الحليم محمود السيد صـ ٦٢، ٦٣، وينظر للمؤلف الإبداع والأسرة، دار المعارف القاهرة .

المختلفة، فقد تؤكد طريقة التعلم تشجيع الابتكار والتجديد وتصور التراث العلمى فى الماضى على أنه لبنة فى البناء العلمى الذى يتزايد صرحه شموخاً مع استمرار الجهود فى الحاضر والمستقبل، كما قد تؤكد طريقة التعلم قداسة التلقين والحفظ " [١].

فالأساليب التربوية فى المؤسسات التعليمية هى التى تربى فى الطفل ملكة التفكير والإبداع أو تقتل فيه تلك الملكات .

" ففى كثير من الدراسات التى تتبعت نمو القدرات الإبداعية عند تلاميذ المدارس من الصف الأول الابتدائ إلى الصف الثانى عشر " الثانوية العامة "، تبين أن هذه القدرات تنموا تدريجياً من الصف الأول إلى الصف الرابع، ثم تتوقف عن النمو وتتناقص بعد ذلك .

وقد فسر الباحثون توقف نمو القدرات الإبداعية بعد سن العاشرة بعدم ملائمة أساليب التعليم فى المدارس لتنمية التفكير الإبداعى؛ لأنها تركز على تعليم القراءة والكتابة والحساب، وعلى حفظ المعلومات بدون تمحيص، كما أن الطفل يجبر على الطاعة والمسايرة والخضوع ولا يُشجع على التعبيرعن أفكاره وإبداء رأيه واقتراح الحلول المناسبة من وجهة نظره، فيتخلى عنها حتى يكون فى سن العاشرة مسايراً لأصحابه ومدرسيه خاضعاً لما حوله من أفكار ونظم، وبالتالى فإنه لا يظهر تفوقه فى القدرات الإبداعية بعد ذلك؛ لأنه يرى أن فى ذلك خروج على المنظومة التى يعيش فيها، هذا بالإضافة إلى معاناة أمثال هؤلاء الأطفال . أصحاب القدرات الإبداعية العالية . من القلق والاضطراب لاختلاف تفكيرهم عن تفكير مدرسيهم وأقرانهم العاديين . وبالتالى فقد توصلت الدراسات إلى أن أسلوب التعليم مسئول . إلى حد كبير- عن الفروق الفردية بين التلاميذ فى التفكير الإبداعى، وأن أساليب التعليم الخاطئة لا تشجع على نمو القدرات الإبداعية عند الأطفال، بل إنها تُعِيق الأطفال أصحاب القدرات الإبداعية عن التفوق" [٢].

بل إن المشكلة تزداد تعقيداً عند الطالب الذى يمتلك قدرات إبداعية فى مجال ما عندما تُفرض عليه دراسة لا تتفق وميوله، إذ إن كل إنسان لديه ملكات إبداعية فى مجال معين بحيث أنه لو وُضع فى هذا المجال أبدع وأنتج، وعلى العكس من ذلك فإنه لو كلف بالدراسة فى مجال لايتفق مع ميوله وقدراته فإنه لن يأتى فيه بجديد مهما كانت لديه من القدرات والملكات الإبداعية والتى سرعان ما يُقضى عليها وتدفن فى داخله، ولا أدل على ذلك من أن كثيراً من الذين أبدعوا فى مجالات مختلفة لم يكونوا من المتفوقين فى مراحل تعليمهم المختلفة، بل إن منهم من ترك

---

(١) الإبداع صـ ٦٦ بتصرف.

(٢) ينظر : العبقرية والإبداع والقيادة، دين كيث صـ ١٠٥ وما بعدها، ورعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس، د كمال إبراهيم مرسى صـ ١٠٩، ١١٠، الإبداع العام والخاص، ألكسندر روشكا صـ ٨٤، ٨٥.

الدراسة نهائياً لعدم اتفاق برامجها وميولهم وقدراتهم أمثال؛ أديسون [١]، وميندل [٢]، ونيوتن [٣]، وفارادى [٤].... غيرهم [٥].

من هنا يتضح دور المؤسسات التعليمية وأثرها فى خلق وتنمية الإبداع عند الإنسان أو القضاء عليه ومحوه.

٣ . المجتمع العام :

إن للمجتمع الذى يعيش فيه الإنسان دور مهم فى تنمية الإبداع لديه أو القضاء عليه، فالمجتمع الذى يكرم أبناءه ويحترم أفكارهم، ويشجعهم على الإتيان بجديد، ويتيح لهم الفرص والإمكانات، ويقدر جهودهم، لا شك أن مجتمعاً كهذا ينمى عند أبنائه ملكة الإبداع والابتكار، يقول أفلاطون : من يكن مكرماً فى بلد ما فسيكون إنتاجه لهذا البلد، ويضيف : إذا ما كان على الأطفال أن يحرَضوا على التعليم وأن يفكروا إبداعياً فينبغى أن نكرم ما يمكن أن يحققه هذا التفكير [٦].

ويؤكد علماء النفس والاجتماع تلك الحقيقة حيث يرون أن لتطوير المناخ الإبداعى فى المجتمعات قاعدة عميقة وواسعة موجودة فى صلب العملية الاجتماعية، وما تقوم عليه من العدالة وتكافؤ الفرص لجميع الناس، والابتعاد عن التميز بين الطبقات والفئات الاجتماعية، فالشخصية المبدعة فى أى من مجالات النشاط لا توجد خارج النشاط الاجتماعى حيث تعيش وتبدع، والفرد لا يصل إلى ابتكاراته وأعماله العقلية إلا بمقدار ما يحتل من مكان فى تفاعل الجماعات، وبالتالى فى إطار المجتمع ككل [٧] .

وعلى العكس من ذلك فقد أكدت الدراسات أن سوء التعامل مع المبدعين والمبتكرين، وعدم تقدير المجتمعات لإنتاجهم وأفكارهم يثبط همهم، ويضعف عزائمهم، ويقتل فيهم روح الإبداع والابتكار [٨] .

من هنا يتضح أن الإبداع ليس مجرد إلهام أوفكرة تخطر ببال الإنسان فتكون إبداعا، ولكن الإبداع ثمرة عوامل وجهود يقوم بها الفرد والمجتمع، فالإبداع بذرة توجد فى نفس الإنسان منذ

---

(١) توماس أديسون مخترع المصباح الكهربائى ، وقد خرج من التعليم فى المرحلة الأولى بسبب قول المدرس أنه لا يقوى على الفهم.

(٢) جورج ميندل مكتشف علم الجينات والذى ترك التعليم بسبب رسوبه المتكرر.

(٣) وقد انقطع عن التعليم فى المرحلة الثانوية خمس سنوات بسبب فشله فى الدراسة، وتخرج من الجامعة دون تفوق .

(٤) عالم الفزياء الإنكليزى وله نظريات وقوانين فى الفزياء تعرف باسمه، وقد ترك التعليم فى الرابعة عشرة من عمره ولم يكمل تعليمه.

(٥) ينظر: العبقرية والإبداع والقيادة، ديث كيث صـ ١٠٨، محاضرات فى المتفوقين ١٣٤.

(٦) نقلاً عن : الإبداع العام والخاص صـ ٨٧.

(٧) ينظر المرجع السابق صـ ٨٧، ٩٣.

(٨) ينظر : العبقرية والإبداع والقيادة صـ ١٣٩ وما بعدها.

صغره فيرعاها من حوله ويتعهدون نماءها حتى يأتى دوره فى العناية بذلك الغرس الذى سرعان ما يزهر ويثمر ويعود بالنفع على الفرد والمجتمع .

وبعد فتلك هى أهم العوامل التى اتفق الباحثون على وجوب توفرها لتحقيق الإبداع، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، ماذا قدم الإسلام فى هذا الميدان؟ هل أقر الإسلام الإبداع وعوامله واهتم به، أم رفضه وحجر على عقول أصحابه؟ وهل هناك منهج للإسلام فى رعاية الإبداع قابل للتطبيق؟ تلك التساؤلات يتم الإجابة عليها فى المباحث التالية بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثانى: منهج الإسلام فى تحقيق الإبداع.

تمهيد :

قبل الحديث عن الخطوات والأسس التى وضعها الإسلام لتحقيق الإبداع على مستوى الأفراد والأمة كان لابد من التنويه إلى أن الإسلام كان له السبق فى الاهتمام بالإبداع ورعاية المبدعين، حيث إن الاهتمام الفعلى بالإبداع [١] لم يظهر فى المجتمعات الغربية إلا فى العصر الحديث، وتحديداً مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين [٢]، وما سبق هذا التاريخ من ابتكارات وإبداعات كانت عبارة عن جهود فردية قام بها أصحابها دون وجود رعاية منظمة أو اهتمام من مجتمعاتهم، بل كانوا . أحياناً . يلقون منهم الأذى والسخرية والرمى بالجنون لأنهم كانوا يأتون دائماً بأشياء غريبة وجديدة، بل إن بعض المجتمعات كانت تعتبرهم شواذ وينفرون منهم.

يقول الفيلسوف اليونانى القديم " هيراقلطيس " . متعجباً من موقف قومه من النابغين .: " إنهم إذا نبغ فيهم عبقرى أكرموه وبجلوه وتوجوه بالأزهار وضمخوه بالعطور، ثم صحبوه إلى أقرب حدود لبلادهم قائلين له وهم يودعونه: نأسف إذ لاحاجة لنا بك ولا مكان لك بيننا " [٣].

بل كان هناك من هؤلاء العلماء المبدعين من عانى أشد صنوف العذاب عندما كان يأتى بجديد فى مجال العلوم التجريبية، وذلك كما حدث فى المجتمعات الأوروبية فى القرون الوسطى، من قبل محاكم التفتيش عندما وقفت الدولة ممثلة فى الكنيسة موقفاً عدائياً من العلم والعلماء المبتكرين أمثال؛ "نيقولا كوبرنيكس " و"جاليليو " وغيرهما ممن اكتشفوا، أو اخترعوا، أوجاؤا بجديد

---

(١) أقصد بالاهتمام الفعلى الاهتمام والرعاية المنظمة من قبل الدول والمجتمعات، سواء كانت تلك الرعاية مادية كتمويل الاختراعات وصرف المكافئات وتبنى المبدعين وتوفير الإمكانات لهم، أو معنوية بتقديرهم وإنزالهم المنزلة التى تليق بهم، وسن القوانين التى تحفظ حقوقهم ... إلى غير ذلك.

(٢) ينظر : الإبداع العام والخاص صـ ١٣ وما بعدها، الإبداع د عبد الحليم محمود السيد صـ ١٥ ومابعدها.

(٣) تنمية الأطفال المعاقين، عبد المجيد عبد الرحيم صـ ١١ دار غريب للطباعة والنشر ١٩٩٧م.

فى مجالات العلوم، حيث كانوا يُتهمون بالهرطقة ويُعدمون أو يُعذبون فى السجون حتى يرجعوا عن فكرهم، أو يحكم عليهم بالحرق لتطهير أجسادهم من الشيطان[١] .

ولا أدل على سبق المسلمين غيرهم فى الإبداع والابتكار ماذكرته الألمانية زيغريد هونكه: مما حدث عندما أهدى الخليفة المسلم هارون الرشيد ساعة مائية . ابتكرها العلماء المسلمون وأبدعوا فى صناعتها . إلى " شارلمان " ملك فرنسا والذى أخذته الدهشة والحيرة من أمرها، فاستدعى علماءه ليفسروا له حقيقتها، فمنهم من فرَّ هاربا عندما سمع دقاتها خشية أن يكون بها شيطان، ومنهم من فسر عملها بوجود جنٍّ بداخلها، ومنهم من وقف عاجزاً عن التفسير، وظلوا هكذا حتى حضر إليهم عالم من علماء العراق فشرح لهم حقيقة عملها، وكانت تلك هى أول ساعة عُرِفَت فى أوروبا، وكان ذلك عام ٨٠٧م، وقد أصاب الأوربيين وقتها الذهول[٢].

يقول أحد فلاسفة الغرب ويدعى " شريستى ": (لقد ظلت أوربا نحو ألف سنة تنظر إلى الفنون الإسلامية كأنها أعجوبة من الأعاجيب) [٣] .

وفى تلك الفترة التى سُجن فيها العلماء فى المجتمعات الأوروبية وحجر على العقول، وأصبح العلم جريمة لا تغتفر لصاحبها كانت ساحات المجتمعات الإسلامية تزخر بالعلم والإبداع فى مختلف الفنون والعلوم، حيث كانت الدعوة إلى التعليم والتفكير والتأمل وإعمال العقل ومن ثم الإبداع، وذلك مع نزول أول قبس من نور الوحى السماوى على رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۞ الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٤] .

لقد كانت تلك الآية بما تحمله من دعوة إلى طلب العلم والقراءة فى كتاب الله المقروء، والتأمل والتفكر فى خلق الإنسان . وهو إحدى آيات الله فى كونه المنظور- هى نقطة البداية وإشارة لإطلاق الطاقات الخلاقة التى أودعها الله ﷻ فى الإنسان ليفكر المسلم ويبتكر ويبدع، ولم يقتصر اهتمام الإسلام بالإبداع على الدعوة إلى العلم والتأمل والتفكير فحسب وعلى سبقه فى هذا الميدان، ولكن الإسلام قدم منهجاً فريداً متكاملاً لتحقيق الإبداع على مستوى أفراده وعلى مستوى الأمة ككل، ومن أهم خطوات ذلك المنهج ما يلى:

أولاً : احترام الإسلام للعقل والحث على تنمية قدراته الإبداعية .

---

(١) أما الأول فقد أعدم وأما الثانى فقد حبس حتى أظهر تراجعه عن فكرة كروية الأرض ودورانها، ينظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ج٢٩ص١٣٨.

(٢) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه،صـ ١٤٢ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى،دار الجيل ودار الآفاق بيروت، ط٨ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

(٣) تربية الأولاد فى الإسلام، عبد الله ناصح علوان ج١ صـ ١٩٧ دار السلام ط١١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٤) سورة العلق آية: ٥ .

العقل هو أداة الإبداع ومصدره، فهو الجهاز الذي يفكر به الإنسان، والتفكير هو محور الإبداع؛ لذلك فإن العلاقة بين العقل والإبداع علاقة تلازم وترابط، وقد تبين فيما سبق أن من أهم عوامل الإبداع امتلاك الإنسان العقل بنسبة ذكاء متوسطة . على أقل تقدير. إذ لا يمكن لفاقد العقل أن يبدع أوأن يقدم شيئاً نافعاً، كما أن مجالات الإبداع تتنوع بحسب القدرات العقلية المتعددة، وبحسب درجات الذكاء، وبالتالى فإن فى احترام العقل وتقديره احترام للإبداع ومصدره، وفى امتهان العقول والحجر عليها قضاء على الإبداع وتجفيف لمنابعه.

والمتأمل فى تعاليم الإسلام يتضح له أن للعقل فى الإسلام مكانة سامقة وسامية، فقد احتفى الإسلام بالعقل وأعلى قيمته، وأمر بحفظه، ودعا إلى تنمية ملكاته بالتدبر والتفكير والتذكر والنظر والتأمل، ويتضح هذا مما يلى :

١ . خطاب القرآن الكريم للعقل بالأساليب التى تقوم على الإقناع والبرهان، وإقامة الحجة والدليل لا الإكراه والجبر والحجر والتعتيم، ويظهر هذا فى عرض القرآن الكريم لقضايا الإيمان بالله الخالق والتوحيد والبعث والنشور .... ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [٢]، ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [٣].

فالقران فى هذه الآيات الكريمات يخاطب العقل بالأدلة والحجج والبراهين التى لا يشكك فيها عاقل، وفى مخاطبة القرآن للعقل بمثل تلك الأساليب احترام له وتقدير

٢ . ثناء القرآن الكريم فى كثير من آياته على أصحاب العقول وأولى الألباب والنُهَى ومخاطبته لهم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٤]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٥]، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٦]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [٧] إلى غير ذلك من الآيات، وفى اختصاص أصحاب العقول بالنداء والخطاب احترام وتقدير لما يمتلكون من ملكات وقدرات، كما أن فى مناداتهم بتلك الصفة دون غيرها بيان لأهميتها وقيمتها.

---

(١) سورة النمل آية : ٦٤.
(٢) سورة الزمر آية: ٢٩.
(٣) سورة فاطر: آية ٩.
(٤) سورة البقرة: من الآية٢٦٩.
(٥) سورة الزمر: من الآية٢١.
(٦) سورة الطلاق: من الآية١٠.
(٧) سورة طه الآية: ٥٤.

٣ . دعوة الإسلام الإنسان إلى إعمال العقل والتأمل والنظر والتفكر، وكل هذه الأشياء من أهم عوامل الإبداع . كما سبق بيانه . إذ لولاها ما اكتشف الإنسان شيئاً، ولا عرف حقيقة العناصر وخواصها ومن ثم تركيبها واستثمارها فى الابتكار والإبداع، والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى إعمال العقل فى النظر والتأمل والتفكير فى كل ما حوله من مخلوقات؛ لأن ذلك كله يقوده إلى الإيمان بالله أولاً، ثم إلى التعرف على حقائق المخلوقات واستثمارها، ومن الآيات التى تدعوا إلى ذلك قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١)

ففى هاتين الآيتين الكريمتين يقترن توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته قياماً وقعوداً وعلى جنب بالتفكير فى خلق السماوات والأرض وغيرهما من آيات، وفى هذا دلالة واضحة على أن التفكير فى خلق الله وفى الكون، وتتبع يد الله المبدعة وهى تحرك هذا الكون وتقلب صفحاته هو عبادة فى صميمه (٢) .

وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) وقوله . جل شأنه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤)، وقوله . سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥)، ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (٦).

فالله . سبحانه وتعالى . وهو البديع يرينا فى آياته إبداعاً فى الخلق ، ويطلب منَّا التفكر فى الإبداع من خلال تأمل الخلق والنظر فيه لنبدع فيما سخر الله لنا.

٤ . إعطاء العقل مساحة من الحرية المنضبطة للتفكير والإبداع؛ إذ إن القدرات العقلية كالنبات تنمو وتزدهر فى أجواء الحرية، وتموت وتنكمش فى أجواء الكبت والحجر الفكرى؛ لذا فإن الإسلام حرص على تهيئة المناخ الفكرى الملائم للعقل والذى يتسم بالحرية . ولكن فى إطار ضوابط معينة كما سيتضح فى حينه .، فقد أفسح الإسلام المجال أمام الإنسان ليتجول بعقله

---

(١) سورة آل عمران آية :١٩٠.١٩١.

(٢) ينظر: الإسلام وقضايا التنمية الشاملة دراسات للأبعاد الإيمانية للتنمية، اد/نبيل السمالوطى صـ ٦٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية،عدد٩٦ صفر ١٤٢٤هـ أبريل ٢٠٠٣م .

(٣) سورة النحل الآية: ١١ .

(٤) سورة الروم الآية: ٢١ .

(٥) سورة يونس:١٠١.

(٦) سورة الأنعام: من الآية:٩٩.

وفكره فى خلق الله وكونه الفسيح وما بين سمائه وأرضه، وليس لمخلوق الحق فى أن يعترض فكر هذا الإنسان أو أن يشوش عليه طالما أن هذا التفكير لم يصطدم بإرادة الخالق . سبحانه وتعالى . وسننه فى كونه.

٥ . بل إن الإسلام لم يكتف بدعوة الإنسان إلى التفكير وإعمال العقل دون قيد أو شرط . كما يظهر من آيات القرآن الكريم .، وإنما يُكافئ الإنسان على إعماله لعقله واستخدامه إياه فيما خلق له وإن أخطأ ما دام فى الخير والنفع، كما جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » [١] .

يقول د / ماجد عرسان الكيلانى : (وأما عن "الممارسة للحرية والتدريب على التفكير الحر" فيمكن القول إن الأصول الإسلامية تطلقها كاملة حين تجعل للصواب من ثمرات التفكير أجرين بينما تجعل للخطأ أجراً واحداً، مع ملاحظة أنها لم تخصص أجراً للخطأ إلا فى ميدان التفكير والاجتهاد العقلى . ومعنى هذا أن من لا يُرِى الله أثر نعمته عليه فى العقل والتفكير لا ينال من الله أجراً، وأن من يُخطئ فى استعمال هذه النعمة هو أفضل من المعطل لها العاجز عن استعمالها، المستسلم للآبائية والتقليد) [٢] .

وفى المقابل فقد عاب القرآن الكريم على الذين عطَّلوا عقولهم ولم يُعملوها فيما خلقت له، فوصف القرآن الكريم أمثال هؤلاء بأنهم " لا يعقلون " ﴿ لا يَعْقِلُونَ﴾ [٣] فقد سلب القرآن الكريم عنهم صفة العقل على الرغم من أن عقولهم لا توجد بها آفة أو مرض محسوس؛ لأنهم عطلوها قال تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [٤]، فهم يمتلكون عقل الإدراك الذى هو مناط التكليف، لكنهم افتقروا إلى عقل الرشد الذى به التفكير والتمييز.

٦ . حفظ الإسلام للعقل، فقد جعل الإسلام حفظ العقل من الضرورات الخمس التى يجب حفظها للإنسان، بل إن حفظ العقل من أهم هذه الضرورات إذ بدونه لافائدة لباقى الضرورات؛ لذا حرَّم الإسلام كل ما يُغَيِّب العقل أو يعطله عن أداء وظيفته كما ينبغى، كالخمر وما شابهها، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٥]، ووجه الحكمة فى التحريم أن الخمر تخمر العقل وتغيبه، وتفقده

---

(١)صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخارى حديث رقم ٦٩١٩ ج٦صـ ٢٦٧٦،دار ابن كثير، اليمامة – بيروت،الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، حديث رقم ١٧١٦ ج٣صـ١٣٤٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية صـ ٩٦ مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة من آية: ١٧١.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٧٩.

(٥) سورة المائدة آية: ٩٠.

القدرة على القيام بوظائفه الأساسية من تفكير وإدراك وغير ذلك، فقد أثبت العلم الحديث أن الخمور بكل أنواعها تؤثر أول ما تؤثر على قشرة المخ التى بها مراكز التحكم والإدراك [١].

ولم تكن مثل هذه التوجيهات مجرد مبادئ نظرية بل كان النبى ﷺ فى خطابه لأصحابه ودعوته لهم حريصاً على مخاطبة عقولهم، وحثهم على التفكير والتأمل، ويظهر هذا فى كثير من أحاديث النبى ﷺ ومنها ماروى عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ: « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِى مَا هِىَ** » . **فَوَقَعَ النَّاسُ فِى شَجَرِ الْبَوَادِى . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « هِىَ النَّخْلَةُ** » [٢] ، إن الرسول ﷺ لم يكن معلماً فحسب وإنما كان مدرباً لأصحابه على تنمية قدراتهم العقلية، ويتضح هذا أيضا فى أحاديثه من خلال استخدام الأساليب الاستفهامية فى مخاطبته لأصحابه رضوان الله عنهم أجمعين.

مما سبق يتضح أن الإسلام شرع كل ما فيه حفظ للعقل وتنمية لقدراته وملكاته، وجعل ذلك حقاً واجباً لكل إنسان فى الوجود، وبهذا يصبح العقل صالحاً للإبداع والإنتاج وتقديم الجديد النافع، ويتوفر بهذا لدى الفرد والأمة ركن الإبداع الأول ومصدره وأداته وهو العقل، وتلك هى الخطوة الأولى والأساسية من خطوات المنهج الإسلامى لتحقيق الإبداع .

ثانياً : دعوة الإسلام لطلب العلم والاهتمام به.

العلم عامل من أهم عوامل الإبداع إذ لا يمكن بحال أن يبدع جاهل أو أن يُقدم جديداً، فالإنسان لكى يُبدع فى مجال ما أو فى فنٍ معين عليه . أولاً . أن يكون مُلِمَّاً بقواعد هذا الفن وأصوله، وأن يكون على علم بجهود من سبقوه، إذ كيف يأتى بجديد من لم يكن على علم بالقديم؟ والمتتبع لتعاليم الإسلام يتبين له:

١ . أن الإسلام اهتم بالعلم ودعا إلى طلبه منذ بداية دعوته، حيث كان هو اللبنة الأولى التى قامت عليها الدعوة الإسلامية، وكيف لا والعلم طريق معرفة الله وعبادته، ويتضح هذا من قول الله ﷻ فى أول آيات نزلت من الوحى السماوى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۞ الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٣].

(فكان النداء الأول الذى ربط الأرض بوحى السماء أمراً من الله بالقراءة ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ [٤]، وتلا هذا الأمر الإلهى آيات معدودات تسموا بقيمة العلم، وتشيد بالقلم ﴿ اقرأ وربك

---

(١) ينظر :المعارف الطبية فى ضوء القرآن والسنة، د أحمد شوقى إبراهيم ج٣ صـ ٦٢ دار الفكر العربى ط١ ١١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيح البخارى حديث رقم ٦١ج١ صـ ٣٤، صحيح مسلم حديث رقم ٢٨١١ج٤ صـ ٢١٦٤.

(٣) سورة العلق آية: ٥ .

(٤) سورة العلق آية: ١.

الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ وفى كون الوحى الأول يبدأ بكلمة "اقرأ " ولم يبدأ بقوله " اعبد " أو " صل "، وكون النبى ﷺ الذى نزل عليه القرآن أمياً، والبيئة التى نشأ فيها بيئة أمية، لا يعرف القلم فيها إلا القليل، كل ذلك يؤكد على اهتمام هذا الدين بالعلم، ولفت الأنظار إلى مكانته ومنزلته فيه) [١].

والعلم المطلوب فى هذه الآية ليس العلم الشرعى أو النظرى فحسب، وإنما كل علم يوصل إلى الإيمان بالله تعالى، ومعرفة حقيقة الإنسان ومهمته فى هذه الحياة ومن ذلك العلوم التجريبية، حيث تضمنت الآية الإشارة إلى حقيقة علمية مرتبطة بالعلوم التجريبية وهى حقيقة خلق الإنسان من علق، إذ إن الأمر بالقراءة فى الآيات تكرر فى الآية الأولى والثانية وتوسطتهما الإشارة إلى إحدى مراحل خلق الإنسان فى الآية الثانية ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، وفى هذا دليل على اهتمام الإسلام منذ بداية نزول الوحى على نبى الإسلام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة إلى العلم النافع على اختلاف أنواعه وفنونه.

ومع أن أول آية نزلت فى القرآن الكريم تدعو إلى العلم وتحض عليه إلا أنها ليست هى الآية الوحيدة التى تحدثت عن العلم والعلماء، فقد وردت كلمة عِلْم فى القرآن الكريم باشتقاقاتها المختلفة مايزيد على ثمانمائة وخمسين مرة، صُرِح فيها بلفظ "العلم" نكرة ومعرفة ثمانون مرة [٢] .

٢ . كما تحدث القرآن الكريم عن العلماء وأولى العلم، وأثنى عليهم فى أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٣]،﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٥] "والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب . الكون . العجيب . ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية . يعرفونه بآثار صنعته . ويدركونه بآثار قدرته . ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه . من ثم يخشونه حقاً ويتقونه حقاً،

---

(١) مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام – د/ طلعت محمد عفيفى – صـ١٠ ط الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م بدون ذكر دار طباعة .

(٢) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقى، صـ٥٩٦ وما بعدها مادة علم، دار الحديث القاهرة ط٣ ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٣) سورة الزمر من الآية:٩.

(٤) سورة المجادلة من الآية : ١١.

(٥) سورة فاطر آية :٢٧، ٢٨.

ويعبدونه حقاً . لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون . ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر . . وهذه الصفحات نموذج من الكتاب . . والألوان والأصباغ نموذج من بدائع التكوين الأخرى وبدائع التنسيق التي لا يدركها إلا العلماء بهذا الكتاب . العلماء به علماً واصلاً . علماً يستشعره القلب، ويتحرك به، ويرى به يد الله المبدعة للألوان والأصباغ والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل" (١) .

وثناء الله على العلماء هنا جاء عقب الحديث عن عدد من الآيات الكونية والحقائق العلمية فى كثير من مجالات العلوم التجريبية، وفى هذا إشارة واضحة إلى أن لفظ العلماء هنا لم يقتصر فى إطلاقه على علماء الشرع أو الدين فحسب، ولكن يتناول العلماء التجريبيين الذين عرفوا الله من خلال آياته فى خلقه فآمنوا به وخشوه حق خشيته .

٣ . كما حث الرسول ﷺ على طلب العلم وأثنى على أهله والأحاديث فى هذا الميدان أكثر من أن تحصى منها حديث رسول الله ﷺ: (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) (٢) وقد نكر لفظ علم فى الحديث ليشمل كل علم نافع، وليس المقصود العلم الشرعى فحسب .

قال الإمام المناوى :(" من سلك طريقا " حسية أو معنوية ونكره ليتناول أنواع الطريق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم...." علما " نكره ليشمل كل علم وآلته ويندرج فيه ما قل وكثر)(٣) .

٤ـ ولم يقتصر اهتمام الإسلام بالعلم على مجرد الدعوة إلى طلبه والثناء على أهله، ولكن كان التطبيق العملى قرين الدعوة النظرية، حيث حرص الرسول ﷺ على الاهتمام بشئون التعليم مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة المنورة، فعمل على محو الأمية وتعليم الصحابة القراءة والكتابة والفقه فى الدين، وأنشأ داراً للقراءة، وكلف عدداً من الصحابة بتعلم بعض اللغات الأخرى (٤) .

ولا يخفى على أحد أن تعلم لغة الآخرين أمر مهم فى عملية الإبداع، إذ كيف يمكننا التعرف على ما وصلوا إليه من علوم ومعارف وإبداعات إذا لم نتمكن من معرفة لغتهم، من هنا كانت نظرة الرسول ﷺ بعيدة المدى فى الحث على هذا الأمر.

وهكذا كان حرص الإسلام على العلم والدعوة إلى طلبه والاهتمام به، وبهذا حقق الإسلام عاملاً من أهم عوامل الإبداع، وخطى خطوة مهمة فى طريق تحقيقه له .

---

(١) فى ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥ صـ ٢٩٤٣ دار الشروق، ط١٦ ١٤١٠هـ١٩٩٠م.
(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٩ ج٤ صـ ٢٠٧٤.
(٣) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوى ج٦ صـ١٥٤، المكتبة التجارية مصر ط ١ ١٣٥٦هـ.
(٤) ينظر : النظام السياسى فى الإسلام، أد / أحمد أحمد غلوش صـ ١٣٧ مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

ثالثاً : الحث على فهم السنن الكونية والانتفاع بما فى الكون من مُسَخْرَات وطاقات .

لقد خلق الله ﷻ الكون وأودع فيه من الطاقات والمسخرات ما يضمن حياة آمنة مطمئنة لكل البشر إنْ استثمروها وانتفعوا بها، قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ، :﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (٢)، كما أنه . سبحانه . يُسَيّرُكونه وفق نواميس وقوانين لا تتغير ولا تتبدل ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (٣) والمسلم إذا تدبرهذه السنن وتأملها، وعرف قوانينها، ومجاريها، وأمعن فيها النظر؛ استطاع أن يبني ذاته وفق هذه السنن التي فرضها الله فى ملكوته لكونه وخلقه العظيم، واستطاع أن يعقل الواقع الذي يعيشه، والمستقبل الذي ينتظره، ومن ثم يصبح قادراً على الإبداع والابتكار، من هنا كان توجيه الإسلام إلى ما يلى:

١ . حث الإسلام المسلم على التعرف على سنن الله الكونية واحترامها والوقوف عندها لفهمها وعدم مصادمتها، أوالاعتماد على المصادفة أو الخرافة، فلا يوجد فى كون الله ما يسير بالمصادفة ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤)، ولا توجد قوى خارقة تسيطر على كون الله وتتصرف فيه . كما كان يزعم البعض ويشيع فى بعض الأوساط(٥) . فهذا نوع من الخرافة فالكون كله يسير وفق نواميس وسنن معينة، فعلى الإنسان . ليبدع . أن يدور فى تفكيره وفق تلك السنن والقوانين، فيتعرف عليها ويدرسها، وأن يبتعد عن التفكير الذى يقوم على الخرافة أو الخرق للعادات، فمن البديهي أن للنتائج أسباباً ومقدمات . ومن تأمل الأسباب وأمعن فيها النظر، من خلال السنن الكونية في الخلق؛ استطاع أن يتلمس النتائج من ورائها .

يقول د /ماجد عرسان الكيلانى :"التفكير السننى الذى يشدد عليه القرآن ويكرر لفت الانتباه إليه هو التفكير الذى يعتبر أن الكون والاجتماع البشرى تسيره سنن . أى قوانين . إلهية معينة وأن التعايش مع عناصر الكون والنجاح فى مجرى الاجتماع البشرى إنما يعتمدان على موافقة هذه السنن والقوانين فى ميادين الحياة المختلفة .

وبمقدار ما ينجح الإنسان فى الكشف عن هذه السنن والقوانين وفى حسن استخدامها والتوافق معها بمقدار ما يستطيع تسخير الكون والاجتماع البشرى لتحقيق بقاء النوع البشرى ورقيه .

---

(١) سورة الجاثية آية :١٣.
(٢) سورة فصلت آية :١٠.
(٣) سورة الأحزاب آية: ٦٢.
(٤) سورة القمر آية: ١٤٩.
(٥) من المؤسف أن تلك الأفكار منتشرة فى كثير من الأعمال الفنية التى يتربى عليها أبناؤنا والتى يصدرها لنا الغرب، ومثل تلك الأفكار تقتل فى نفوس أبنائنا ملكة التفكير والاجتهاد والأخذ بالأسباب، حيث يرون أن هناك قوى خارقة هى التى تسيطر على الكون وتسيره، فكل واحد منهم يظل يحلم أن يمتلك مثل هذه القوة وأن يصبح "سوبرمان" أو الرجل الخارق.

والإسلام يدعو إلى ضرورة التحرر من التفكير الخرافى والذى يعتمد على وجود قوى موهومة وأرواح مخترعة، وكذلك التفكير الخوارقى الذى يعفى الإنسان من من مسؤلياته فى التغيير والعمل وينتظر حدوث . الخوارق والمعجزات الإلهية . فى تحقيق حاجاته وحل مشكلاته . فهذه الخوارق . وإن حدثت فى عهود سابقة وفى مواقف محدودة . إلا أنها ظواهر تاريخية مضت وختمت بختم النبوة والرسالة وانتقال البشرية إلى طور الرشد الذى حددت بداياته وملامحه ختم الرسالة بمحمد ﷺ والذى قام جهاده . أساساً . على الجهود البشرية العادية وإحكام تعبئة المقدرات البشرية المألوفة ومراعاة السنن والقوانين الإلهية فى جميع الشئون : ﴿ اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (١) "(٢) .

فما على العلماء إلا أن يعيشوا مع سنن الله ﷻ فى كونه ليتعرفوا عليها ويتأملوها ويستثمروها فى إبداع كل ما هو نافع ومثمر.

٢ . لفت الأنظار إلى ما فى الكون من مسخرات وطاقات لاستثمارها، فالمطالع لآيات القرآن الكريم والمتدبر لمعانيها يتضح له أن هذا الكتاب . وهو المصدر الأول لتعاليم الدين الإسلامى . قد اشتمل على كثير من الحقائق والإشارات العلمية المتعلقة بشتى العلوم والفنون، منها ما يتعلق بالزراعة، ومنها ما يتعلق بالصناعة، ومنها ما يتعلق بالفلك، ومنها ما يتعلق بالطب، ومنها ما يتعلق بالعلوم الإنسانية ....، والغرض من ذلك لفت أنظار المسلمين إلى مافى الكون من طاقات وإمكانيات يمكن استثمارها والانتفاع بها؛ ليكون للمسلمين السبق والإبداع فى كل المجالات، وتكن لهم الريادة فى كل الميادين، فينطلقون من القرآن لعمارة الدنيا والسيادة عليها.

والقرآن الكريم به الكثير والكثير من النماذج الدالة على ذلك بما لايتسع المقام للوقوف عليها فى مثل هذا البحث، غير أنى أكتفى هنا بذكر نموذج من تلك النماذج، وهو حديث القرآن المتعلق بمجال الصناعة والذى يكون الابتكار والإبداع فيه أكثر من المجالات.

فإن من الحقائق المتعارف عليها فى مجال الصناعة فى العصر الحاضر وأيضاً فيما سبق من عصور أن الحديد هوأساس الصناعات بالإضافة إلى دخوله فى كثير من المجالات الأخرى، والمتصفح لسور القرآن الكريم يلفت نظره سورة تسمى بـ " الحديد " وفى داخل تلك السورة بيَّن الحق . سبحانه وتعالى . خصائص هذا العنصر وطبيعته، والحكمة من ذكره فيقول ﷻ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣)

---

(١) سورة فاطر آية : ٤٣.

(٢)أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية صـ ٨٧،٨٨ بتصرف .

(٣) سورة الحديد آية : ٢٥.

وقد أفاض الإمام الرازى فى بيان المنافع التى أودعها الله ﷻ فى الحديد وبيَّن أنه يدخل فى كل أصول مصالح العالم وفروعها [١].

إن فى تلك الإشارة القرآنية توجيه ربانى للمسلمين ليأخذوا بأسباب التقدم الحضارى والإبداع فى مجالات الحياة المختلفة . إن أمة يحوى كتابها المقدس مثل هذه الحقائق جديرة بأن تكون رائدة الأمم فى الإبداع والابتكار فى كل ميادين الحياة .

رابعاً: الحث على إتقان العمل وإجادته.

ولم يقتصر دور الإسلام فى الاهتمام بالإبداع والحث عليه على الدعوة إلى العلم والعمل على نشره فحسب، ولكن كانت هناك دعوة أخرى موازية للدعوة للعلم وهى الدعوة إلى العمل، وليس مجرد العمل ولكن مع الإتقان والإحسان فيه؛ ذلك لأن العلم بلا عمل كغرس بلا ثمر، والعلم بمفرده لا يثمر إبداعا فى كثير من المجالات وبخاصة المجالات العملية، فعالم الهندسة . مثلاً . لا يتحقق إبداعه حتى يُخرج ما وصل إليه من حقائق جديدة إلى أرض الواقع فى صورة منشأة هندسية، أو آلة صناعية، أو مخترع من المخترعات النافعة . كما أن تحصيل العلم فى حد ذاته يتطلب العمل الجاد والاجتهاد فى المجالات النظرية والتطبيقية.

من هنا كانت دعوة الإسلام إلى العمل بمعناه الشامل وإتقانه، ويتضح هذا مما يلى:

١ . أن العمل الذى حث عليه الإسلام لا يقتصرعلى الشعائرالتعبدية التى أمر بها الله ﷻ وندب إليها رسوله ﷺ، ولكن معنى العمل الصالح فى الإسلام أعم من ذلك حيث يشمل العبادات والمعاملات، والعمل العقلى واليدوى، والعلم بأنواعه النظرى والتطبيقى ومختلف الأعمال الملتزمة بشرع الله، كما أن العمل للدنيا والسعى فيها لا ينفصل عن العمل للآخرة وطلبها.

يقول أ/ محمد قطب: "والعمل فى الدنيا والسعى فى طلب الرزق ليس طريقاً مستقلاً عن العبادة؛ فليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل، إنما هو طريق واحد أوله فى الدنيا وآخره فى الآخرة، وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة، ولا العبادة عن العمل، كلاهما شئ واحد فى نظر الإسلام " [٢].

فكما أمر الإسلام بالسعى إلى بيوت الله لأداء الفرائض حض على المشى والانتشار فى ربوع الأرض للعمل وطلب الرزق والابتغاء من فضل الله قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [٣]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للإمام محمد الرازى فخر الدين، ج٨ صـ ١٠١ ، ١٠٢ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٢) قبسات من الرسول ﷺ صـ ١٧ دار الشروق بيروت ط٨/ ١٤٠٢هـ.

(٣) سورة الملك آية ١٥.

فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١) ،﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٢).

٢. حث الإسلام المسلم على أن يكون صاحب حرفة أومهنة، فقد جاء فى الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ) وفى رواية البيهقى (**يحب الشاب المحترف**) (٣)
أى صاحب الحرفة .

قال الإمام المناوى: "الذي لـه صناعة يكتسب منها، فإن قعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة "(٤).

وليس من قبيل المصادفة أن يكون أنبياء الله ورسله . عليهم السلام . من ذوى الحرف والمهن، فقد كان نوح عليه السلام نجاراً، وإدريس عليه السلام خياطاً، وموسى عليه السلام راعياً، وسيدنا محمد ﷺ كان راعياً وتاجراً، أليس فى هذ إعلاء لقيمة العمل والاحتراف .

٣ـ يكافئ الإسلام العامل على أداء العمل الدنيوى أو الإعانة عليه فيعطيه أجراً فى الآخرة بالإضافة إلى أجره فى الدنيا، ففى الحديث « **مَنْ أَمْسَى كَالاًّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ أَمْسَى مَغْفُورًا له** » (٥) كما جعل إعانة الصانع والصناعة لغير القادر من أفضل الأعمال عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِىَّ ﷺ : **أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ، قَالَ « إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِى سَبِيلِهِ »** . **قُلْتُ فَأَىُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ « أَغْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا »** . **قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ** . **قَالَ « تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ »** (٦)، فقد عدَّ الرسول ﷺ إعانة الصانع فى صنعته أوالصناعة لغير القادر من الأعمال المقدمة عند الله تعالى.

٤ـ وليست غاية الإسلام من العمل مجرد احتراف المسلم حرفة من الحرف، أو الإلمام بصنعة من الصناعات، أو عمل من الأعمال الأخرى، ولكن غاية الإسلام أن يُتقن المسلم عمله . أى عمل . وأن يُجيد فيه حتى يظهر فى أحسن صورة وأفضلها ويكون النفع منه مكتمل ومحقق، عن عائشة . رضى الله عنها . أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ** » (٧).

---

(١) سورة الجمعة من آية :١٠.
(٢) سورة المزمل من آية : ٢٠.
(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط حديث رقم ٥٨٩٣٤ ج ٨صـ ٣٨٠ دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ تحقيق طارق بن عوض الله محمد، ورواه فى المعجم الكبير حديث رقم١٣٢٠٠ ج١٢صـ ٣٠٨ مكتبة العلوم والحكم الموصل ط٢ /١٤٠٤هـ ١٩٨٣م، والبيهقى فى شعب الإيمان حديث رقم١٢٣٧ ج٢صـ ٨٨ دار الكتب العلمية بيروت ط١٤١/١هـ، وقال الحافظ الهيثمى فيه عاصم بن عبيد الله وهوضعيف، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد حديث رقم ٦٢٣١ ج٤صـ ٧٤ دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
(٤) فيض القدير ج٢ صـ ٢٨٩، ٢٩٠ مرجع سابق.
(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط برقم ٧٥٢٠ ج٧صـ٢٨٩، وقال الهيثمى: فيه جماعة لم أعرفهم، برقم٦٢٣٨ ج٤صـ٧٥.
(٦) صحيح البخارى حديث رقم ٢٣٨٢ ج٢صـ ٨٩١، صحيح مسلم حديث رقم ١٣٦ ج١ صـ ٨٩ .
(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط برقم ٨٩٧ ج١ صـ ٢٧٥، والبيهقى فى شعب الإيمان برقم ٥٣١٢ ج١١ صـ ٢٩٦، مرجع سابق.

وإتقان العمل والإجادة فيه من أهم عوامل الإبداع ومقوماته، فلا يمكن بحال أن يبدع مهمل فى عمل أوغير متقن له؛ لأن الإنسان الذى يتقن عمله يجتهد دائماً ليأتى فيه بجديد نافع، وإتقان العمل هو الخطوة التى تتوج الخطوات السابقة من تأمل وتفكير، وطلب للعلم، وتَعَرّفٍ على سنن الكون وطاقاته واستثمارها، ثم يكون العمل المتقن الذى يُخرج ثمرة الجهود السابقة فى صورة عمل فيه إتقان وإبداع .

خامساً: النهى عن التقليد والتبعية والاتكال .

لقد حرص الإسلام على وقاية أتباعه أفراداً وجماعات من الإصابة بالأدواء التى تقضى على ملكة الإبداع فى نفوس المبدعين، وفى مقدمة تلك الأدواء التقليد والتبعية والتواكل.

قال أحد الحكماء قديماً: "لا تعطنى سمكة ولكن علمنى كيف أصطاد". إن التقليد الأعمى والتبعية والاعتماد على الغير من أخطر الآفات التى تقضى على الإبداع لدى الأفراد والأمم، ذلك لأن التقليد يعطل العقل ويقضى على ملكاته، فقد اعتاد صاحبه على محاكاة الآخرين ونقل ما عندهم دون وعى أوتدبر، فأنى للعقل أن يفكر ويبتكر.

كما أن الذى يعيش حياته معتمداً على مايقدمه له غيره لن يفكر فى أن يصنع لنفسه شيئاً، فقد اعتاد أن يأخذ من غيره دون عناء أونَصَب، ونتيجة ذلك أنه يظل حياته أسيراً لغيره لما يقدمه له، تابعاً له مرتسماً خطاه خطوة خطوة، ويعيش حياته ثم يموت دون أن يترك خلفه أى بصمة فى الحياة، وكم من أفراد عاشوا حياتهم وخرجوا منها دون أن يُخلِّفُوا ورائهم أى ذكرأونفع، وكم من دول قامت ثم سقطت أو بادت دون أن يكون لها أى إسهام حضارى.

هذا بالإضافة إلى أن الأمة التى تعتمد على غيرها ولا تحقق الاكتفاء الذاتى لن تتمكن من عرض فكرها وثقافتها ودعوتها على الآخرين بل من الطبيعى أن تتأثر هى بثقافاتهم وفكرهم.

من هنا فقد حرص الإسلام كل الحرص على أن تكون لأتباعه . على مستوى الفرد والأمة . شخصيتهم المتميزة بعيدين عن التبعية والاتكال، حتى يكون لهم دورهم الفعال وإسهاماتهم البناءة، وبصماتهم الواضحة فى كل ميادين الحياة، فينتجون ويبدعون فى إنتاجهم، وتكون للأمة المسلمة سيادتها وذاتيتها التى أرادها الله ﷻ لها فى قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)، وفى سبيل ذلك:

١ . فقد نهى الإسلام عن التقليد الأعمى لما فيه من تعطيل للقوى العقلية وفى مقدمتها ملكة التفكير والإبداع، حيث عاب القرآن الكريم على المقلدين اتباعهم لأفكار السابقين، واستنكر عليهم تعطيلهم لعقولهم، مبيناً أن ذلك كان سبباً فى ضلالهم قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ

(١) سورة آل عمران من الآية :١١٠.

مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (١) فإنهم لما عطلوا عقولهم وكانوا نقلة لفكر الآباء وثقافتهم دون أن يعملوا عقولهم ليميزوا بين صحيحه وسقيمه ، ودون أن يميزوا بينه وبين ما جاء به الرسل . عليهم السلام . ظلوا على دين الآباء وبقوا فى نفس المستنقع العفن ، وكان لهم نفس المصير.

٢ . كما يحذر الرسول ﷺ المسلمين كجماعة أوأمة وكذلك الفرد المسلم من أن يكونوا مسلوبى الفكر والإرادة، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« **لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا** »، وفى رواية أخرى " **لا يَكُن أَحَدُكم إِمَّعة** ...الحديث "(٢) .

٣ . وعلى المستوى العملى والتطبيقى كان الرسول ﷺ يحترم آراء أصحابه ويقدرها تدريباً لهم على إبداء الرأى وعدم الإمعية والتبعية، فكانوا يبدعون فى تفكيرهم وآرائهم، ومن ذلك موقفه ﷺ من الحباب بن المنذر فى غزوة بدر عندما نزل الرسول ﷺ عند ماء بدر، "قال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ولا نقصر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله ﷺ:«بل هو الرأي والحرب والمكيدة »، فقال الحباب: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، ولكن انهض حتى تجعل القلب كلها من وراء ظهرك، ثم غور كل قليب بها إلا قليبا واحدا، ثم احفر عليه حوضا، فنقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال: « قد أشرت بالرأي »، ففعل ذلك" (٣) .

إن هذا الموقف يوضح حكمة الرسول ﷺ المعلم القائد، وأدب التلميذ ونجابته وإبداعه، فالصحابى قبل أن يُقْدِم على إبداء الرأى أو طرح الفكرة سأل أولاً هل هناك مجال لإعمال العقل والفكر؟ ومن ثم الإبداع فى التفكير وإبداء الرأى، ذلك لأن هناك مجالات لاتقبل الاجتهاد ولا الرأى ومن ثم الإبداع . كما سيتضح فى حينه إن شاء الله . فلما علم أنه لا حرج وأذن له الرسول ﷺ أبدى رأيه بعد تفكير وتأمل، فاحترم الرسول رأيه ونزل عليه ونفذه، فكان غاية فى الإبداع، وإبداعاً فى التخطيط الحربى، ثم كان النصر بإذن الله ﷻ .

إن المنهج الإسلامى يربى فى أتباعه أن يوطنوا أنفسهم على الإحسان دائماً وعدم الانسياق خلف الآخرين وتقليدهم فى فكرهم وآرائهم، " فالتفكير التقليدى هو عدم استعمال القدرات العقلية

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٢٢، ٢٣.

(٢) رواه الترمذى فى سننه وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ حديث رقم ٢٠٠٧ ج٤ صـ ٣٦٤ دار إحياء التراث العربى بيروت، تحقيق أحمد شاكروآخرون، والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود، حديث رقم ٨٧٦٥ ج٩ صـ ١٥٢ مكتبة العلوم والحكم ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

(٣)السيرة النبوية ابن كثير ج٢ صـ ٤٠٣ تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م.

واللجوء إلى المحاكاة أو الآبائية . اتباع الآباء . والاكتفاء بالمألوف . ولا فرق أن يدور التقليد حول نماذج قديمة جداً وأخرى جديدة جداً. فكلا النوعين تعطيل للقوى العقلية

وإن اختلفت ميادينها وأدواتها: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (١)

ويستنكر القرآن جمود المقلدين وهو يهتف بهم إلى التحرر من أوهام التقليد : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢)، وفى سبيل ذلك يوجه الإسلام الإنسان إلى البحث فى أسرار الكون وعلائق الاجتماع وقوانين الوجود القائم سواء ما يتعلق بالإنسان أو الحيوان أو الجماد " (٣).

وهذا يتطلب من المرء المسلم أن يكون ذا بصيرة، غير مقلد فى كل شئ أو فيما لايحقق نفعاً.

٤ . كما نهى الإسلام عن التواكل وطلب الإحسان من الآخرين، فالإسلام ينشد لأبنائه . على مستوى الأفراد والمجتمعات والأمة . حياة كريمة عفيفة بعيداً عن مذلة السؤال وتكفف الناس،قال ﷺ **(والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه)** (٤)، والأدلة فى هذا أكثر من أن تحصى.

وقد كان الرسول ﷺ يربى أصحابه ويدربهم تدريباً عملياً على هذا المبدأ، ويظهر هذا مما فعله الرسول ﷺ مع السائل الذى أعطاه حبلاً وقدوماً ووجهه إلى العمل(٥) فقد وفر له أدوات الإنتاج بدلاً من تشجيعه على التسول .

ولقد وعى صحابة رسول الله ﷺ هذا الدرس جيداً، فإن كنت قد بدأت الحديث بحكمة لأحد حكماء الغرب قديماً، فأختم هنا بمقولة تحمل نفس المعنى من صحابى تربى على يدى رسول الإسلام ﷺ وهو عبد الرحمن بن عوف حيث قال لسعد بن الربيع الانصاري، عندما عرض عليه أن يناصفه أهله وماله،:"**بارك الله لك في أهلك ومالك، دلنى على السوق**" (٦). فأضحى ﷺ من أثرياء المدينة وأبدع فى مجال التجارة، والسؤال هنا؛ هل لو أن "عبد الرحمن" قبل المال من "سعد " وحصل عليه بهذه الطريقة السهلة كان سيصل إلى ما وصل إليه من تفوق وإبداع فى التجارة ؟ أظن أن هذا لم يكن ليحدث .

---

(١) سورة الزخرف من الآية :٢٣.
(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٠.
(٣) أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلانى صـ ٨٤، ٨٥.
(٤) صحيح البخارى ـ كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة رقم الحديث ١٤٠١هـ جـ٢ صـ٥٣٥ مرجع سابق، وللحديث روايات أخرى فى البخارى .
(٥) الحديث رواه أبو داود فى سننه باب ما تجوز فيه المسألة رقم الحديث ١٦٤١ جـ٢ صـ١٢٠، ورواه ابن ماجه فى سننه باب بيع المزايدة رقم الحديث ٢١٩٨ جـ٢ صـ٧٤٠، وقد ضعفه الشيخ الألبانى ـ مشكلة الفقر صـ ٣٠ حديث رقم ٤١ .
(٦)السيرة النبوية ابن كثير ج١ صـ ٣٢٧ ، مرجع سابق.

ورحم الله الشيخ محمد الغزالى وهو يعلق على على هذا الموقف بقوله: " إن علو الهمة من خلائق الإيمان وقبح الله وجوه أقوام انتسبوا للإسلام فأكلوه وأكلوا به حتى أضاعوا كرامة الحق فى هذا العالم " [١].

٤. وليس معنى هذا أن ينأى الفرد بنفسه عن الآخرين، أوأن يتنكر لجهود السابقين، إذ لا يمكن للإنسان أن يبدع فى مجال ما أو أن يأتى بجديد دون أن يقف على جهود السابقين وإنجازاتهم فى هذا المجال، وليس هذا بعيب ولا يعد من التقليد المذموم أو الاتكال طالما أن فى هذا الأمر نفعاً وأن الإنسان سيضيف إليه ويبنى على جهود من سبقوه.

وصدق القائل إذ يقول:

من لم يؤسس بالقديم جديده فجديده واهى الأساس مزور[٢]

فلا حرج أن نأخذ أفضل ما عند الآخرين فى الفنون المختلفة النافعة كعلم الطب والفزياء والهندسة، والكمياء، ووسائل الحرب، وحقائق المادة، وأسرار الذرة ... وغيرذلك، وكما جاء فى الحديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (**الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**) [٣].

ولقد كان الرسول ﷺ يطبق هذا المنهج تطبيقاً عملياً فى حياة الدولة الإسلامية الأولى، ففى الوقت الذى نجده فيه ﷺ ينهى عن التشبه بالمخالفين فى العقيدة ويأمر بمخالفتهم نجده ﷺ يأخذ منهم بما فيه نفع، فيستعين بأحد المشركين فى الهجرة لخبرته، ويأمر بتعلم لغة غير العرب، ويستخدم فى غزوة الأحزاب سلاحاً من إبداعات الفرس أخبر به سلمان الفارسى ﷺ وهو حفر خندق حول المدينة ... إلى غير ذلك من الأمور.

كما أن المسلمين الأوائل أخذوا ماعند الإغريق من علوم نافعة فى المجالات التجريبية، ودرسوها وزادوا عليها الكثير والكثير من الإبداعات والابتكارات.

فليس من العيب أن ننتفع بما عند الآخرين، وإنما الخطر كل الخطر فى أن يقلد المسلمون غيرهم فيما لانفع فيه، أو أن يعتمدوا على ما يقدمه لهم الآخرون دون أن يكون لهم دور أو إضافة، فيكونون للعلم وللحضارة رواة وحملة لا مفكرون ولا مبدعون .

" وهذا هو موقف الذين يفهمون الإسلام حق الفهم، فهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة، ولا يُخشى منه مفسدة وبخاصة وسائل التقدم والتطورالتكنولوجى الذى شمل جميع مجالات الحياة " [٤].

---

(١) فقه السيرة النبوية صـ ١٣٨ ،دار الشروق ط٤ ٢٠٠٨م.

(٢) البيت من إنشاء الدكتور حسن جاد من قصيدته فى مدح الأزهر الشريف.

(٣) سنن الترمذى جديث رقم ٢٦٨٧، ج٥ صـ ٨١ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٤) التخلف العلمى فى واقع المسلمين المعاصر، د أنس أحمد كرزون صـ ٥٧ دار ابن حزم بيروت، ودار نور المكتبات جدة السعودية ط١/١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

وبهذا يتضح أن الإسلام . بتعاليمه . يُجَنِّب أتباعه ما فيه إضعاف لمَلَكَة الإبداع لديهم والقضاء عليها، وتلك بمثابة الخطوة الوقائية التى تقى الطاقات والقدرات الإبداعية وتحفظها.

خامساً : تقدير المواهب ورعاية الموهوبين.

لقد تبين فيما سبق أن الموهبة من أهم العوامل التى تساعد على الإبداع وتنميته، والموهبة طاقة كامنة فى الإنسان ينبغى البحث عنها بين أفراد المجتمع؛ لإبرازها وتنميتها للانتفاع بها واستثمارها، وذلك عن طريق " التعرف عل ميول الأفراد وقدراتهم واستعداداتهم، مع الإيمان بمبدأ الفروق الفردية فى كمٍّ وكيفِ ما يمتلكون من قدرات واستعدادات وميول ومواهب، مع ضرورة الاستفادة من كل ما يمتلك الفرد من قدرات ومواهب " (١).

والمتتبع لتعاليم الإسلام يتضح له أن الإسلام عنى عناية فائقة بالمواهب والطاقات الكامنة فى كل إنسان فلم يكبتها أو يحجر عليها، ولم يطلق لها العنان لتُنفق فيما يخرب ويضر، ولكن عمل على رعايتها والاهتمام بها وتوظيفها التوظيف الأمثل .

يقول د /رشاد على عبد العزيز موسى : " والأصل فى الإسلام أن الموهبة طاقة لابد أن تبذل فإذا لم تبذل ضمرت وماتت، والموهبة يمكن استخدامها فى الخير كما يمكن استخدامها فى الشر . فليست هناك موهبة خيرة بذاتها، ولا موهبة شريرة بذاتها . وإنما التربية والتوجيه الذى تتلقاه هما اللذان يجعلانها خيرة أو شريرة .

والإسلام حريص على تنمية المواهب والاستعدادات وتربيتها فهو لا يكبتها لأنها هبة من الله للإنسان ينبغى أن تُنمى وتستغل وهو لا يبددها لأن تبديد الطاقات والمواهب مخالف لتعاليم الإسلام نصاً وروحاً . وإنما يوجهها وجه الخيرالتى تنفع صاحبها وتنفع الناس " (٢).

لقد عنى الإسلام أشد العناية بالموهوبين، وحرص على اكتشاف مواهبهم وقدراتهم وعمل على تنميتها واستخدامها فيما يعود على الأمة بالنفع، ويتضح هذا من خلال نصوص القرآن الكريم وسنة سيد الأنام ﷺ ونهج السلف الصالح ﷺ .

أ . فمن القرآن الكريم مايلى :

١ . فى قصة تولية طالوت ملكاً على بنى إسرائيل بين القرآن الكريم أن سبب اختياره لهذا المنصب ما يمتلكه من ملكات وقدرات حباه الله بها وهى؛ البسطة فى العلم والجسم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ

---

(١) ينظر : الإسلام والإنسان المعاصر دراسة نفسية د عبد الرحمن محمد العيسوى صـ٢٢٦،٢٢٧ دار الراتب الجامعية بيروت ط١/ ١٤٢٠هـ ٢٠٠١م.

(٢) الإرشاد النفسى فى حياتنا اليومية فى ضوء الوحى الإلهى والهدى النبوى صـ ٢٤١ دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط١/ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)، فالقرآن الكريم بين أن تولية طالوت للملك كان لما يمتلكه من مواهب وملكات وقدرات أنعم الله عليه بها.

٢ . ما حدث فى قصة نبى الله موسى مع الخضر . عليهما السلام . حيث أمر رب العزة سبحانه موسى عليه السلام . مع نبوته . أن يطلب العلم من الخضر عليه السلام لما وهبه الله من علم غاب عن نبى الله موسى، قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ (٢)، ففى الآية دلالة على تقدير ما لدى الخضر عليه السلام من مواهب وملكات.

٣ . وفى طلب نبى الله يوسف عليه السلام القيام على خزائن مصر مفصحاً عما وهبه الله من ملكات وقدرات تؤهله لهذا المنصب قائلا . كما ذكر القرآن الكريم . : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

إلى غير ذلك من النماذج القرآنية التى تدلل على احترام القرآن الكريم للمواهب والملكات والقدرات.

ب . أما بالنسبة للسنة النبوية المطهرة فقد كان النبى ﷺ ينتهج نهج القرآن الكريم، ويطبق ما جاء فيه تطبيقاً عملياً فى الاهتمام بالمواهب واكتشافها وتنميتها وتوظيفها، حبث كان النبى ﷺ قريباً من أصحابه مخالطاً إياهم، متفقداً لأحوالهم، وبالتالى كان من السهل عليه أن يتعرف على ما يمتلكه كل واحد منهم من مواهب وقدرات، ثم يوظفها التوظيف الأمثل، ويظهر هذا مما يلى :

١. إقرار النبى ﷺ بما لدى بعض أصحابه من مواهب وثناؤه عليهم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَرْحَمُ أُمَّتِى بِأُمَّتِى أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِى أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ** » (٤).

٢ . انتقاء ذوى المواهب واستثمار طاقاتهم، ووضعهم فى المكانة الى تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم، وقد تعددت المواقف النبوية الدالة على ذلك ومنها ماجاء فى حديث الأذان **عَنْ أَبِى الْعُمَيْسِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ كَيْفَ رَأَيْتُ**

---

(١) سورة البقرة آية :٢٤٧.
(٢) سورة الكهف آية ٦٥،٦٦.
(٣) سورة يوسف آية : ٥٤،٥٥.
(٤) سنن ابن ماجة حديث رقم ١٥٤ ج١ صـ ٥٥ دار الفكر بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، وأخرجه الترمذى فى سننه حديث رقم ٣٧٩٠ ج٥ صـ ٦٦٤ وقال حديث حسن غريب، مرجع سابق.

الأَذَانَ فَقَالَ : « أَلْقِهِ عَلَى بِلاَلٍ، فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا ». فَلَمَّا أَذَّنَ بِلاَلٌ نَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ (١).

فعلى الرغم من أن عبد الله بن زيد هو صاحب رؤيا الأذان، وهو الأولى بأن يرفع الأذان إلا أن النبى ﷺ يعلم بخبرته بطبية أصحابه وقدراتهم واستعداداتهم أن بلالا يمتلك موهبة الصوت الحسن الندى فأوكل إليه الأذان .

وفى موقف آخر نجد النبى ﷺ ينتقى ذوى المواهب من بين أفراد المجتمع كما ينتقى الغواص حبات اللؤلؤ من صدفاتها فى قاع البحر، فبعد فتح مكة أمر الرسول ﷺ بلالاً أن يصعد فوق الكعبة ويؤذن" فَأَقْبل فِتْيَة مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ خَارِجَ مَكّةَ يَسْتَهْزَؤُونَ وَيَحْكُونَ صَوْتَ الْمُؤَذّنِ غَيْظًا، وَكان منْ بيْنهم أَبُو مَحْذُورَةَ الْجُمَحِيّ، وَاسْمُهُ سَلَمَةُ بْنُ مِعْيَرٍ وَقِيلَ سَمُرَةُ حيث كَانَ أَبُو مَحْذُورَةَ مِنْ أَحْسَنِهِمْ صَوْتًا، فَرَفَعَ صَوْتَهُ مُسْتَهْزِئًا بِالْأَذَانِ فَسَمِعَهُ النّبِيّ ﷺ فَأَمَرَفَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَظُنّ أَنّهُ مَقْتُولٌ فَمَسَحَ النّبِيّ ﷺ نَاصِيَتَهُ وَصَدْرَهُ بِيَدِهِ قَالَ فَامْتَلَأَ قَلْبِي وَاَللّهِ إيمَانًا وَيَقِينًا وَعَلِمْت أَنّهُ رَسُولُ اللّهِ فَأَلْقَى عَلَيْهِ النّبِيّ ﷺ الْأَذَانَ وَعَلّمَهُ إيّاهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذّنَ لِأَهْلِ مَكّةَ، وَهُوَ ابْنُ سِتّ عَشْرَةَ سَنَةً فَكَانَ مُؤَذّنَهُمْ حَتّى مَاتَ " (٢) .

فقد لمس النبىﷺ الموهبة الكامنة فى نفس "أبى محذورة" والتى كانت قد تراكم عليها ظلام الجهل والشرك، فمسح بيده الشريفة على صدره وأزال ماتراكم على قلبه من ران الشرك واستخرج تلك الموهبة للوجود ﷺ .

إلى غير ذلك من المواقف التى كان فيها يوجه الرسول ﷺ صحابته كلا إلى ما يتفق مع ملكاته وقدراته واستعداداته .

ج . أما بالنسبة لصحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا يرتسمون خطى رسول الله ﷺ ويسيرون على دربه، فكما كان النبى ﷺ يهتم بالمواهب ويشجع أصحابها كذلك كان صحابته الأجلاء ﷺ، إذ إن الناظر فى سيرتهم العطرة يرى أن هناك كثيراً من النماذج التى يظهر فيها تقديرهم لأصحاب المواهب والقدرات العالية، حيث كانوا يقدمونهم على غيرهم ممن هم أكبر منهم سناً، ومن ذلك ما رواه الإمام البخارى فى صحيحه **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِى مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ . قَالَ فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَدَعَانِى مَعَهُمْ قَالَ وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِى يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ مِنِّى فَقَالَ مَا تَقُولُونَ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ) حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ نَدْرِى . أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا . فَقَالَ لِى يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ قُلْتُ لاَ . قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ**

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى حديث رقم ١٧٣٩ج١صـ ٣٩٩ مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٢) الروض الأنف، أبو بكر محمد بن إسحاق ج٤ صـ ١٧٢، بدون بيانات طباعة.

اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) قَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَعْلَمُ . (١)

إلى غير ذلك من المواقف التى يضيق المقام عن سردها هنا، وبعد فيتضح مما سبق اهتمام الإسلا متمثلاً فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف الصالح بالمواهب وأصحابها اهتماماً بالغاً وهذا بدوره يُنمى الإبداع ويقويه ويبرزه لدى الأفراد، وتلك هى الخطوة الأخيرة والتى تقع على عاتق ولاة الأمر والمسئولين، وبهذا تكون قد اكتملت تلك الخطوات الرئيسة فى المنهج الإسلامى لتحقيق الإبداع، ويكون الإسلام قد وضع منهجاً قويما لخلق روح الإبداع وتنميتها بين أفراد المجتمع المسلم، وتحقيق الإبداع الفردى والجماعى وعلى مستوى الأمة. غير أن أى منهج لابد له من ضوابط تنظم طريق السير فيه وضمانات لتطبيقه وعدم الخروج عنه، وهذا ما سيتم التعرف عليه . بعون الله وتوفيقه . فى المبحث التالى.

المبحث الثالث: ضوابط الإبداع فى الإسلام.

لقد تبين فيما سبق كيف أن الإسلام اهتم بالإبداع وحث عليه، وهيأ المناخ الملائم لنموه والانتفاع به، فاحترم العقل ومنحه حرية التفكير والتأمل والنظر، وسخر له الكون الفسيح ليجوب فى رحابه بعقله وجوارحه فيعمر ويشيد، وحث الإنسان على الأخذ بكل ماينمى ملكاته الإبداعية، وحذره مما قد يضعفها أو يقضى عليها، واحترم كل ما يقدمه الإنسان من جهود، وراعى ما لديه من ملكات وقدرات ومواهب .

غير أن الإسلام فى هذا الميدان لم يترك الإنسان لنفسه وعقله فالنفس قد تهوى ما فيه هلاكها، والعقل قد يزوغ ويشرد عن الطريق المستقيم فتُبَدد الطاقات والقوى أو تُنفق فيما لا نفع فيه، لكن الإسلام وضع العديد من الضوابط والأطرالتى تهذب السلوك الإبداعى وتضبطه، وترشد طاقة المبدع وتحمى جهوده من أن تستثمر فى غير موضعها، وتحفظ حقوقه وتلزمه بواجباته، كما أن تلك الضوابط تحمى المجتمع بل والبشرية مما قد يلحق بها من أضرار إذا استخدم الإبداع فى غير موضعه.

وليس فى وضع تلك الضوابط تقييد للحريات الإبداعية أو تصادم معها، إذ إن الحرية فى الإسلام لا تعنى الاعتداء على ثوابت الدين أو حقوق الآخرين، " إنما الحرية تعنى الاختيار المستنير العارف الواعى، والعمل الذى تتضح منطلقاته وأهدافه، ويصدرعن ذات الشخص وعن قواه العقلية والنفسية الناضجة المتكاملة، ويبطل فيه تأثير الحاجة والعادة، وترديد مقولات الآخرين وتأثيراتهم وإيحاءاتهم، خلال الأحكام الأساسية عن الخير والشر. والحرية بهذا المفهوم تختلف

---

(١) صحيح البخارى حديث رقم ٤٠٤٣ج ٤ صـ ١٥٦٣.

عن الحرية السائدة فى المجتمعات الغربية الحديثة وامتداداتها، حيث تعنى استجابة الإنسان لخواطره أو غرائزه ودوافعه العفوية دون تزكية نفسية أو تربية عقلية " [١]. وفيما يلى عرض لأهم تلك الضوابط :

أولاً: الإبداع فى حدود ما أباحه الشرع من مجالات.

إذا كان الإسلام قد أطلق العنان للإنسان لينطلق بعقله فى رحاب الكون للتأمل والتفكير والإبداع، إلا أن هناك مجالا لايقبل الإبداع أو إعمال العقل فيه بزيادة أو نقصان، إنه دين الله وشرعه المنزل على رسوله الأكرم محمد ﷺ؛ ذلك لأن الذى أنزل الدين هو العليم الحكيم الذى خلق الإنسان ويعلم ما فيه صلاح أمره وفساده، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٢]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [٣]، ويبين الرسول ﷺ أنه متبع لما جاء من عند الله ﷻ ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى ﴾ [٤]، فلا يمكن لبشر أن يتدخل فى دين الله ووحيه أو أن يتصرف فيه. ذلك؛ لأن العقل . مهما امتلك من الذكاء والملكات والمواهب . يعجز عن الوقوف على حقيقة المعبود والإحاطة به، فكيف يصل إلى طريقة عبادته؟ كما أن العقل عجز عن اكتشاف حقيقة نفسه وكنهه، فلا يمكن لعقل عجز عن إدراك حقيقة نفسه أن يشرع لنفسه من دون الله أو أن يزيد وينقص فى دين الله، كما أن الله ﷻ مُنَزِّل الدين بيَّن فى وحيه أن الدين الإسلامى ختم واكتمل على يدى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فقال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [٥].

فلا مجال . إذن . للإبداع فى الدين، إذ إن الإبداع فى الدين ابتداعً، وفاعله مبتدع وليس مبدعا، عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « **مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ** » [٦] .

فالإحداث في الدين ابتداع مخالف للكتاب والسنة، وإجماع الأمة، كما أن تقديم الرأي على الشرع إفساد وهلكة، قال ابن قيم الجوزية: "وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما ينشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه" [٧] .

---

(١)أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة، ماجد عرسان الكيلانى صـ٩٤.
(٢) سورة الحجر الأية : ٩.
(٣) سورة النجم الأية : ٤.
(٤) سورة يونس من الأية : ١٥.
(٥) سورة المائدة من الأية : ٣.
(٦) صحيح البخارى حديث رقم ٢٥٥٠ ج٢ صـ٩٥٩، صحيح مسلم ١٧١٨ ج٣ صـ ١٣٤٣.
(٧)إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،ج١ صـ ٦٨، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.

فهكذا حدد الإسلام الإطار الإبداعي، بحيث يجعل المبدع يسير في مسار صحيح، بعيداً عن التخبط في متاهات طرق أهل الضلال والبدع.

ومن نافلة القول بيان أن هناك مصطلحات تتعلق بأمور الدين تأخذ جانباً من الإبداع وهو جانب الإجادة، مثل مصطلح الإتقان والإحسان .... حيث إن المسلم مطالب بإتقان العمل الأخروى والإتيان به على أكمل وجه قبل العمل الدنيوى، ومجال العبادة والعمل للآخرة مجال فسيح رحب للتنافس والارتقاء والتفوق والإبداع فى الأداء، قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (١).

وأما الإبداع في المجالات الأخرى فهو أمر مطلوب يؤجر صاحبه ويثاب، ويتحتم على الأمة أن تهتم به وأن تهيئ لأبنائها المبدعين المناخ الملائم لتنمية مواهبهم الإبداعية، غير أنه يجب المحافظة على القيم الدينية والإنسانية والمجتمعية وعدم انتهاكها أو الاصطدام بها، وهذا ما سيتضح فى الضابط التالى.

ثانياً: احترام القيم الإنسانية والمجتمعية.

لقد جاء الإسلام بمجموعة من القيم التى تحفظ للإنسان كيانه وكرامته، وتحافظ على حقوقه المادية والأدبية، كما تعمل على أن يكون المجتمع المسلم مجتمعاً نظيفاً تعلوا فيه الفضيلة وتموت فيه الرذيلة، من هنا فقد حذر الإسلام من الاعتداء على تلك القيم أو الاصطدام بها مهما كانت الغاية أو الوسيلة.

ومع أن الإبداع من الأمور المهمة التى حث عليها الإسلام ونادى بها إلا أن العمل الإبداعى ينبغى أن يصب فى نفس الهدف الذى يسعى الإسلام إلى تحقيقه، وهو احترام القيم الدينية والإنسانية وعدم تجاهلها أومصادمتها.

والواقع أن هناك ثقافة مغلوطة عن حقيقة الإبداع منتشرة فى كثير من المجتمعات الحديثة . وبخاصة فى المجالات الفكرية والأدبية والفنية .، حيث يرى البعض: أن الإبداع فكرة جديدة تطرأ على ذهن صاحبها فيقوم بتنفيذها وإخراجها للواقع، وكلما كانت الفكرة جديدة وغريبة كلما حازت إعجاب الكثيرين، بغض النظر عن مدى موافقتها للثوابت والقيم الدينية والإنسانية السائدة فى المجتمعات.

ومن مظاهر ذلك وجود كثير من الأعمال التى توصف بالإبداع والتى تتنافى مع قيمنا وثوابتنا بل وتصطدم مع كل فطرة سليمة، ولاهدف لها سوى إماتة الفضيلة وإحياء الرذيلة، وإشاعة الفاحشة والفكر الإلحادى باسم الحرية الإبداعية .

ورغم كل هذا يأتى من ينادى برفع القيود عن المبدعين وإعطائهم مطلق الحرية التى لا تخضع للقيم ولا للثوابت أو الأعراف .

---

(١) سورة المطففين من آية : ٢٦.

يقول الدكتور / عبد العظيم المطعنى : " من الوسائل التى يعلو الصياح بها الآن لتقويض كيان الأمة العربية والإسلامية التباكى على الإبداع الغائب فى مجال الأدب والفنون، ثم يعللون ظاهرة غيبة الإبداع بالحجر على الأديب، وفرض القيود على العمل الأدبى من خارجه، ثم يطالبون بمنح الأديب شاعراً وقصاصاً أو روائياً حرية واسعة بلاحدود ولا ضوابط، وألا يكون عليه سلطان لأى جهة لا الدين، ولا الخلق، ولا الأعراف السامية، ولا النظام العام الذى يخضع له المجتمع المسلم، فلا يؤاخذ المبدع على قول أو فعل لأن الإبداع فوق كل شئ، ولأن المبدع لايُسأل عما يفعل ؟!!!

حتى اللغة . أداة التعبير . لا يتقيد المبدع بقوانينها النحوية والصرفية والدلالية والبيانية؛ لأن خضوع المبدع لنظام اللغة يقتل موهبته، ويدفن أحاسيسه ومشاعره، ويئد إبداعه فى مهده .

إنهم يدعون أن للإبداع مصدراً واحداً متعدد الملامح والقسمات، إنه الانحراف والتمرد على كل موروث ومألوف، تمرد تكن مبدعاً، لا تتقيد بغير إرادتك أنت وحدك، ولا تقم وزناً لدين ولا عرف ولا فضيلة ولا لغة، ولا يمنعك حياء أو خوف من فحش تبديه، أوكفر تظهره، فالإبداع لايقف دونه شئ ويجب أن تزال من طريقه كل الموانع " [١] .

تلك هى ثقافة الإبداع المنتشرة فى الأوساط الأدبية والفنية، أما الإسلام فإنه جاء بكل ما يوافق الفِطَر السليمة ويعلى من شأن الفضيلة، ويحترم القيم الإنسانية والأعراف قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢]، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣].

وبالتالى فإن أى عمل فى الإسلام لا يُقبل إلا إذا توفر فيه شرطان الأول : وجود نية موجهة خالصة لله تعالى، فأعمال الدنيا وإن كانت عادات تحتاج إلى نية ليثاب عليها الإنسان؛ لأن كل الأعمال فى النهاية دنيوية أو أخروية إنما تصب فى غاية واحدة وهى إرضاء الله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤] .

الشرط الثانى : أن لا تكون تلك الأعمال . مهما عظمت أو قلت . مخالفة لما جاء به الشرع من قرآن أو سنة أو إجماع أو مصطدمة معه، أو مخالفة لعرف أقره الشرع، والغاية فى الإسلام لا تبرر الوسيلة .

وبالتالى فإن أى عمل مُبدَع لا يصب فى هذا الهدف، ولا يتجه تلك الوجهة فلا يُعد فى الإسلام إبداعاً، لكنه ابتداع يرفضه الدين، ومن هنا فإن إخراج الأعمال الفكرية والأدبية والفنية التى تعمل

---

(١) مصادر الإبداع بين الحقيقة والتزوير صـ ٤٦، ٤٧ بتصرف.
(٢) سورة النحل آية :٩٠.
(٣) سورة الروم آية ٣٠.
(٤) سورة الأنعام آية :١٦٢.

على نشر الإباحية والإلحاد باسم الحرية الإبداعية ونشر الثقافة ليست من الإبداع فى شئ؛ لأنها افتقرت إلى وجود هدف سام تسعى إليه، واقترنت بما حرم الله من قول فاحش أو فعل فاضح .... أوكل ما ينتهك الكرامة الإنسانية والفطرة السليمة .

لقد أضاف الإسلام إلى حقيقة الإبداع معنى جديداً وهو الارتقاء بالقيم الإنسانية والسمو بها إلى أعلى درجة، يقول دكتور/ عبد الحليم محمود السيد : " وإذا كانت دراسات التفكير الإبداعى تقرر أنه لا يكفى أن تكون الفكرة جديدة حتى تكون إبداعية، إذ لا بد أن تتوفرلها خاصية الملائمة للموقف الموضوعى والكفاية وإلا اختلط الإبداع بالخرافة والجنون، فإن روح ثقافتنا الإسلامية قد أضافت خاصية أخرى للعمل الإبداعى لكى يكون ملائماً تتمثل فى دعم القيم الإنسانية وإلا صار إبداعاً شيطانياً، أوقوة هائلة بلا قلب ولا عقل، وهو ما تعانى منه كثير من المجتمعات الحديثة التى تنتج أفكاراً جديدة ومنتجات عظيمة القوة لكنها تسخر ضد كل قيمة سامية من القيم الإنسانية "[١]

إن الإسلام يدعو إلى كل ما من شأنه أن يرتقى بالإنسان جسداً وعقلاً وروحاً، ويجنبه كل ما فيه اعتداء على كرامته وإنسانيته، وبالتالى فإن أى عمل إبداعى لايتفق مع تلك المبادى التى نادى بها الإسلام، ولا يصب فى الهدف الذى يسعى إليه فهو عمل غير مقبول وغير منضبط.

ثالثاً: تحقيق النفع والخير للبشرية.

لقد حرص الإسلام فى كل شرائعه على تحقيق مصالح العباد فى الدنيا والآخرة، والأعمال فى الإسلام توزن بغاياتها؛ لذا حث الإسلام أتباعه على أن يكونوا عونا لبعضهم البعض على فعل الخير فقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [٢]، وفى الحديث الشريف يبين الرسول الكريم ﷺ أن الخير والفضل فيمن يقدمون النفع للناس ففى الحديث عن جابر بن عبد الله (...**وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُم للنَّاسِ**)، وفى رواية ابن عمر (...**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ** ...) [٣] .

وفى المقابل فقد حذر الإسلام من إلحاق الأذى أو الضرر بالآخرين حيث جعل كف الأذى عن المسلم من خير خصال الإسلام (**فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَىُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ قَالَ « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »**.وفى رواية الإمام البخارى **عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ)** [٤] .

---

(١) الإبداع صـ ٦ مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة من الآية: ٢.

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط حديث رقم٥٧٨٧ج٦ صـ ٥٨ وفى الصغير برقم ٨٦١ ج٢صـ١٠٦، وفى الكبير برقم ١٣٦٤٦ ج١٢صـ٤٥٣ وقال الشيخ الألبانى حديث حسن صحيح، السلسلة الصحيحة حديث رقم ٤٢٦، ٩٠٦ ج١ صـ٧٨٧، ج٢ صـ ٥٧٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

(٤) صحيح البخارى حديث رقم ١١ ج١صـ١٣، صحيح مسلم حديث رقم ٦٤ج١صـ ٦٥، مرجع سابق.

إلى غير ذلك من النصوص التى تدل على أن من أهم أهداف الإسلام تحقيق النفع للعباد وعدم إلحاق الضرر أو الأذى بهم.

من هنا فإن أى عمل دنيوى يقوم به الإنسان ينبغى أن يحقق هذا الهدف حتى يكون مقبولاً عندالله ﷻ، وبما أن الإبداع واحد من الأعمال المهمة التى لها آثارها الخطيرة والعظيمة فى حياة الأفراد والأمم؛ لذا فقد حرص الإسلام على ضبط السلوك الإبداعى وتوجيهه الوجهة الصحيحة والتى تتمثل فى النفع والخير لا الضرر والشر، وفى البناء والإصلاح لا الهدم والإفساد، وبالتالى يكون شعارالمبدع كما جاء على لسان نبى الله شعيب عليه السلام فى القرآن الكريم:﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١).

ذلك لأن تلك الغاية إذا غابت من حياة المبدع تحول الإبداع إلى عامل هدم وتخريب وتدمير وإزهاق للأرواح، والواقع يشير إلى أن المبدعين الذين فقدوا هذا الجانب الأخلاقي، وافتقروا إلى تحقيق هذا الهدف وتلك الغاية فى أعمالهم الإبداعية كانوا دماراً على المجتمعات بما أنتجوا من ابتكارات، وخير مثال على ذلك " القنبلة الذرية " فمخترع القنبلة الذرية رجل مبدع لا شك في ذلك، ولكن فقدان الجانب الأخلاقي جعله يُسخر ذهنه في ابتكار ما يدمر به البشرية كما حدث فى "هورشيما ونجازاكى"، وما نتج عن الهندسة الوراثية من التوصل لما يسمى بالاستنساخ البشري، وإنتاج البكتريا المميتة، وكذلك إنتاج المركبات الكميائية التى لها آثارها الخطيرة على البشرية، كغازات الأعصاب وغيرها من المركبات الأخرى.

وبالتالى فإن تحقيق النفع والخير للآخيرن ينبغى أن يكون من أهم أهداف المبدع حتى يؤتى عمله الثمار المرجوة والتى تعود بالنفع على الأفراد والمجتمع ككل .

رابعاً: نسبة النعمة إلى المنعم سبحانه وعدم البطر والغرور.

إن العقل . مصدر الإبداع . من صنع الخالق سبحانه، والتفكير والتأمل والإدراك .... هبة من الوهاب الرزاق، والإبداع توفيق من الله البديع ﷻ ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) .

وكذلك الجوارح التى يستخدمها الإنسان فى تنفيذ فكرته هى نعمة من الله وتسير بأمر الله ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٣)، بل إن المواد التى يستخدمها العلم فى ابتكاره وإنتاجه هى من صنع الله ومن نعمه على عباده التى سخرها لهم، قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤).

---

(١) سورة هود من الأية : ٨٨.
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٩.
(٣) سورة البلد الآيات من ٨ ـ ١٠.
(٤) سورة الجاثية آية :١٣.

فالإبداع الحقيقى والمطلق لله ﷻ، فهو الذى أوجد من العدم، وخلق أصل الأشياء التى يبدع فيها البشر ويبتكرون، وبكرمه ومنِّه سخرها لهم " فالله أبدع كل شى ابتداء، وخلق كل شئ من لا شئ، أو بالأحرى واجد كل شئ من لاشئ وهذا الإيجاد من اللاشئ هو الإبداع فى أرقى تجليه،.... وكل عبد اختص بخاصية فى النبوة أو الولاية أو العلم لم يعهد مثلها إما فى سائر الأوقات وإما فى عصره فهو من وهب البديع له " (١)

فمن الواجب على الإنسان فى ميدان الإبداع ألا يغتر بما وهبه الله من طاقات وقدرات وبما وصل إليه من تقدم فى مجال معين، وإنما يُرجع الأمر إلى الله متحدثا بنعمه وفضله عليه، وليكن حاله كحال نبى الله سليمان عليه السلام عندما آتاه الله الملك والحكمة وسخر له من الكون ما سخر فما كان منه إلا أن قال : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٢)، ولا يكن حاله مثل " قارون" عندما آتاه الله المال والتفوق الاقتصادى فما كان منه إلا أن قال:﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٣).

ذلك لأن تذكر الله ﷻ عند النعمة وشكره عليها يزيدها وينميها، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٤)، كما أن تذكر الله عند النعمة يُلزم الإنسان باتباع نهج الله وأوامره فيها، ومن شكر النعمة استثمارها فيما خلقت له من طاعة لله وعبادة ونفع وخير، وعدم استخدامها فيما يغضب الله من إفساد وإضرار وشر.

وعلى العكس من ذلك فإن عدم تذكر الله عند النعمة يصيب الإنسان بالغرور والجحود ويخرج به عن دائرة التأدب مع الله تعالى وعدم الالتزام بما أمر به فى تلك النعمة (٥).

هذا بالإضافة للتعرض لعقاب الله سبحانه قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٦) ، فكم من حضارات وصل فيها أصحابها إلى أعلى درجة من درجات الإبداع البشرى فى زمانهم ولكن بجحودهم نعم الله عليهم زالت تلك الحضارات وصارت أثراً بعد عين، وما حضارة قوم عاد عنا ببعيد، تلك الحضارة التى بلغ أصحابها شأواً عظيماً فى الإبداع المعمارى فى زمانهم فلما كفروا بأنعم الله بادوا ولم يبق لهم أثر قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴾ (٧)، وكذا الحال مع قوم ثمود، ومملكة سبأ، وغيرهم.

---

(١) موسوعة أسماء الله لحسنى وأثرها فى استخلاف الإنسان فى الأرض ج١٠ صـ ٢٠٩ مرجع سابق.
(٢) سورة النمل من الآية :٤٠.
(٣) سورة القصص من الآية :٧٨.
(٤) سورة إبراهيم من الآية :٧.
(٥) لقد سمع الباحث أحد علماء وأساتذة جراحة التجميل فى أحد البرامج التلفزيونية وهو يقول : " إننا نحاول أن نعدل ونغير فى شكل وصورة وهيئة هؤلاء الذين ظلمتهم الطبيعة " ! .
(٦)سورة إبراهيم من الآية :٧.
(٧) سورة الفجر الآيات ٦ـ ٨.

فعلى كل إنسان وهبه الله نعمة أن يتذكر نعمة الله عليه، وأن يحدث بها، وأن يشكره سبحانه فهو أهل الثناء والحمد .

خامساً: استشعار المسؤلية والمحاسبة أمام الله ﷻ .

إن عملية الإبداع من الأمور الخطيرة والمهمة؛ لما له من دور عظيم فى حياة الأفراد والأمم سلباً وإيجاباً، إذ إنه عامل أساسى من عوامل تقدم الأمم أو تأخرها، فالأمة التى تأخذ بأسباب الإبداع أفراداً وجماعات وتوجهه الوجهة الصحيحة سرعان ما ترتقى حضارياً وتتقدم، وعلى العكس من ذلك فإن الأمة التى تركن إلى السلبية والتبعية ولا تأخذ بأسباب الإبداع أو توجهه الوجهة الخاطئة فإنها سرعان ما تخفق حضارياً بل قد تسخر إبداع أبنائها لتدمير الآخرين،

فأمانة الإبداع ومسؤليته خطيرة على مستوى الأفراد والجماعات بل والأمة ككل؛ لذا فإن الإسلام لم يترك أمر الإبداع لأهواء المبدعين، أو لسياسات الدول والجماعات، فيصبح أداة لإشباع الأهواء والأغراض فى السلم، وسلاح دمار شامل فى الحرب، ويهمل ويترك حيناً ويهتم به فى حين آخر، ولكن الإسلام بمنهجه القويم والذى من أهم أسسه ومبادئه الإلزام الخلقى والمساءلة أمام الله بيَّن أن لكل فرد دوره الذى ينبغى أن يقوم به فى الحياة، و أن هناك مساءلة أمام الله ﷻ عن كل ما يكلف به من واجبات، وما يقوم به من أدوار.

قال تعالى ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وفى الحديث الذى رواه الإمامان البخارى ومسلم عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: **(ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)** (٣).

(والراعى: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما أؤتمن على حفظه وقام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شئ فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحة فى دينه ودنياه ومتعلقاته)(٤)، وعن أنس رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال **(إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع)، وفى رواية عن الحسن زاد "حتى يسأل الرجل عن أهل بيته")** (٥).

---

(١) سورة النحل من الآية: ٩٣.

(٢) سورة الحجرالآية: ٩٣.

(٣)صحيح البخارى– كتاب العتق ـ باب كراهية التطاول على الرقيق جـ٢ صـ٩٠١ رقم ٢٤١٦، صحيح مسلم ـ باب ما يجب على الأئمة من العدل جـ١ صـ٢٧٥ رقم ١٠٩٤، واللفظ لمسلم .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم – جـ١٢ صـ٢١٣ دار إحياء التراث العربى – بيروت ط٢ ١٣٩٢هـ

(٥) سنن الترمذى ـكتاب الجهاد باب ما جاء فى الإمام جـ ٤ صـ٢٠٨ حديث رقم ١٧٠٥، صحيح ابن حبان جـ١٠ صـ٣٤٤،٣٤٥، رقم الحديث ٤٤٩٢،٤٤٩٣، وقد أخرجه الشيخ الألبانى وقال حديث صحيح – غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام صـ١٦٧ رقم ٢٧١ .

فالمسئولية تبدأ من الخادم وحتى ولى الأمر أو الحاكم ثم يأتى قوله ﷺ (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ليعم ويشمل كل إنسان أؤتمن أو أقام على أى شئ فيشمل ذلك مسئولية الإنسان عن جوارحه وقواه وحواسه[١]، وكذلك فإن كل ما يكلف به الإنسان من تكاليف، ويوكل إليه من أعمال من قبل الله أو الناس، سواء فيما يتعلق بأمر الدنيا أو الآخرة .

وبالتالى فإن المسئولية فى مجال الإبداع تتسع وتتعدد دوائرها حيث تبدأ من الأسرة والتى هى مسئولة أمام الله ﷻ عن تهيئة المناخ الأسرى الملائم لتنمية مواهب أبنائها وقدراتهم العقلية والإبداعية.

والمؤسسات التعليمية بما فيها من معلمين والقائمين على التعليم هؤلاء جميعاً مسئولون أمام الله تعالى عن تنمية مواهب ذوى المواهب والكفاءات، وتوظيف الملكات والقدرات فيما يتناسب معها من تخصصات، واستخدام ما يتناسب من وسائل وأساليب تعليمية فى سبيل تحقيق ذلك .

والمجتمع مسئول عن الاهتمام بالإبداع باعتباره أحد العوامل المهمة التى تساهم فى نهضة الأمة الإسلامية ورقيها وتقدمها، وعن تنمية واكتشاف المواهب والقدرات الخاصة لدى أفراد المجتمع، وتوفير الإمكانات المادية والمعنوية اللازمة لذلك، واستثمار تلك الطاقات الكامنة فيما فيه نفع الأفراد والمجتمع ككل، مع منح التقدير اللازم والمكافئات والحوافز المادية والمعنوية لأمثال هؤلاء.

ثم يأتى دور الإنسان المبدع نفسه، ومسئوليته لا تقل فى الأهمية عن سابقيه، فهو مسئول أمام الله سبحانه وتعالى عن تلك النعم التى أنعم الله عليه بها، هل حفظها واستثمرها فى نفع نفسه ونفع الآخرين أم ضيعها ولم يهتم بها؟ قال تعالى:﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [٢]، وهو مسئول عن مدى التزامه بأخلاقيات الإسلام فى الإبداع وضوابطه، وعن استخدام تلك الطاقات فى الخير والنفع أم فى الشروالضرر، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [٣]، وعن شكره لنعم الله عليه من عدمه .

والرقابة هنا رقابة إلهية من قِبل رب لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، والمساءلة أمام الملك . سبحانه . الذى لا يظلم أحداً مثقال ذرة، فلو أن كل إنسان فى المجتمع استشعر تلك الحقيقة، وأدى دوره كما ينبغى وكما يريد الله ﷻ لخرَّجَت الأمة جيلاً من المدعين يقودون أمتهم إلى كل تقدم حضارى فى كل ميادين الحياة، كما كان أجدادنا من السلف الصالح رضوان الله عنهم .

---

(١) ينظر: فتح البارى – ابن حجر العسقلانى جـ١٣ صـ١١٣ – مرجع سابق .
(٢) سورة الإسراء آية :٣٦.
(٣)سورة الزلزلة الآية: ٧،٨.

وبالالتزام بتلك الضوابط والأخلاقيات يكون المنهج الإسلامى لتحقيق الإبداع قد اكتمل، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن؛ هل من الممكن تطبيق هذا المنهج؟ والجواب : إن هذا المنهج قد تم تطبيقه فعلاً فى العصور الإسلامية الأولى وأثمر جيلاً من المبدعين كانت لهم بصماتهم الإبداعية فى جميع ميادين الحياة حتى يوم الناس هذا، وهذا ما سيتضح بمشيئة الله تعالى فى المبحث التالى.

المبحث الرابع: ثمار الالتزام بمنهج الإسلام فى تحقيق الإبداع.

لقد تبين فيما سبق أن الإسلام اهتم منذ اللحظة الأولى لنزول الوحى بالإبداع، حيث اشتملت تعاليمه على منهج فريد لتربية أتباعه عليه وتنميته فى نفوسهم وحثهم على الأخذ بأسبابه، فوجههم إلى إعمال العقل بالتأمل والتفكر والنظر فى آيات الله فى كونه الفسيح، كما دعاهم إلى الاجتهاد فى طلب العلوم النافعة والاهتمام بالعلم، وحثهم على الانتفاع بكل مافى الكون من مسخرات وطاقات، ونهاهم عن التبعية والتقليد مع الأخذ بكل ما هو نافع جديد، ووجههم إلى تقدير المواهب والبحث عنها واستثمارها.

ولم تكن تلك المبادئ التى نادى بها الإسلام مجرد دعاوى نظرية، أو شعارات دعائية، ولكنها كانت خطوات عملية، حيث كان الرسول ﷺ يجتهد فى تربية أصحابه الأجلاء وتدريبهم تدريباً عملياً على الأخذ بتلك الأسس والمبادئ وتطبيقها فى واقع حياتهم، كما كان يجتهد فى التعرف على ذوى القدرات العالية والمواهب فيكافئهم ويضعهم فى مكانتهم اللائقة بهم، وهكذا كان الخلفاء الراشدون وولاة الأمور فى الدولة الإسلامية، حيث ساروا على نهج رسول الله ﷺ واقتفوا أثره فى التعامل مع الإبداع والمبدعين، فكانت النتيجة الطبيعية لتلك المعاملة وذلك المنهج ظهور أجيال من المبدعين عبر العصور الإسلامية المختلفة، ساروا على خطوات المنهج الإسلامى لتحقيق الإبداع، والتزموا بآداب الإسلام وضوابطه فيما يتعلق بهذا الأمر، وتحملوا الأمانة والمسئولية فى نهضة الأمة وارتقائها وتقدمها الحضارى، فعطروا الدنيا بأريج إبداعاتهم.

يقول دكتور / طه جابر العلوانى : لقد عُنى القرآن منذ بدء النزول كما عُنى رسول الله ﷺ ببناء الصدر الأول، جيل التلقى، والحملة الأُول لرسالة الإسلام، وفقاً لهذه المنظومة المتلازمة التى استطاعت أن توجد ذلك الجيل المتبع دون تقليد، والمبدع دون تجاوز، والمجتهد دون افتآت، والمجدد دون تهور أوتبديد؛ فكان جيلاً مثالياً نموذجياً، عرف كيف يواجه أمور الحياة وتحدياتها. فلم يَعُد العَدَدُ والكمُّ كل شئ فى الحياة . ولم تعد الطاقة المادية صاحبة الشأن الأكبر، فهذه

الطاقة المادية لها حسابها، ولكن الحساب الأكبر فى ذلك الجيل كان للقدرات العقلية، والطاقات النفسية التى تنبثق عنها الإرادة والفاعلية، وتستظل كلها بعد ذلك بالشرعية القرآنية [١].

ثم كانت الثمرة الطبيعية لهذا الغرس الإسلامى الطيب أن وصلت الأمة الإسلامية إلى درجة من السمُوّ والارتقاء الحضارى لم تصل إليها أمة من الأمم الأخرى على مدار التاريخ الإنسانى على أيدى أمثال هؤلاء المبدعين، وكانت الريادة والسبق للمسلمين فى كثير من ميادين الحياة على مدى حقب متتالية من الزمان، حيث كانت إبداعاتهم فى شتى العلوم والفنون أساساً لكل الحضارات الحديثة، ولو وقفنا على تلك الإبداعات لنضب المداد قبل أن ننتهى من وصفها وسردها، حيث إن الأسفار والموسوعات التى دُونت بها مثل تلك الإبداعات فى المجالات الختلفة أكثر من أن تحصى، ولكن حسب الباحث الوقوف على بعض النماذج مع الإشارة إلى عدد من المراجع لمن يبغى الزيادة. وفيما يلى ذكر نماذج من إبداعات المسلمين فى المجالات المختلفة .

وقد قسم الباحثون مجالات الإبداع الحضارى إلى قسمين؛ " أوّلاً: الحضارة الإسلاميّة الأصيلة، وتسمّى حضارة الخلق والإبداع، وهي تلك الّتي جاء بها الإسلام، أو عمّقها ووضع لها النظم والتفاصيل، ولم تكن كذلك قبل الإسلام، مثل رأي الإسلام في السياسة والاقتصاد وفي الحياة الاجتماعيّة وفي التربيّة والتعليم وفي مجال السلم والحرب. ثانياً: الحضارة الإسلاميّة التجريبيّة وتسمّى حضارة البعث والإحياء، وهي تلك الحضارة الّتي كانت موجودة قبل الإسلام كالتقدّم في الطبّ والموسيقى والفلك والعمران، ولكنّها ذبلت واختفت قبل الإسلام لعوامل متعددة... ثمّ جاء الإسلام وحثّ على خدمة العلم كلّ العلم الّذي ينفع البشريّة، فاتّجه المسلمون بحماسة بالغة لإحياء هذه الحضارات، بل اتّجهوا لتطويرها والتأليف فيها"[٢] وتفصيل ذلك فيما يلى:

أولاً: فى مجال العلوم النظرية .

لقد جاء الإسلام فى مجتمع تنتشر فيه الأمية، وقد كان عدد من اعتنقه ممن يقرأون ويكتبون يكاد يُعد على أصابع الأيدى، فكان منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم . ، لكن الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين ـ رضوان الله عنهم ـ لبُّوا نداء الإسلام فى الحث على طلب العلم والاهتمام، فتعلموا القراءة والكتابة، وعاشوا مع كتاب العلم الأول ومصدره القرآن الكريم ثم أحاديث الرسول ﷺ ينهلون منهما العلوم والمعارف ، فتفتقت تلك العقول وأبدعت فى مجال العلوم الشرعية والعربية المتعلقة بكتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين ﷺ ، ثم العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث تولدت علوم ومعارف، ما كان لأحد قبلهم بها معرفة، ومن تلك العلوم:

---

(١) عن مجلة إسلامية المعرفة، كامة التحرير، عدد ٤١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م مرجع سابق.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلاميّ ، د/أحمد شلبى ، ج١ صـ ٥٤، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ـ الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٩م .

١ . بالنسبة للعلوم الشرعية والعربية، والتى نشأت من دراسة المسلمين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ووضع ما يخدمهما من علوم منها، علم النحو الذى أول من صنف فيه أبو الأسود الدؤلى، وعلم أصول الفقه، الذي أول من صنف فيه الإمام الشافعي، والفقه وأول من صنف فيه الإمام مالك بن أنس، وعلم التفسير وغريب القرآن وأول من صنف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى، إلى غير ذلك من العلوم الأخرى كعلم الفرائض، والعروض، والبديع والبيان، والتاريخ القصصى والأدبى [١] .

٢ . أما بالنسبة للعلوم الإنسانية، فقد كان للمسلمين فيها السبق فى الإبداع والعطاء " عطاء متميز له طابع التوحيد الخالص، إبداع جديد لم تعرفه الأمم ولا الإنسانية من قبل، مصدره القرآن الكريم الذى أعطى البشرية علامة رشدها، ودخولها مرحلة العالمية، واللغة العربية التى شرفت بنزول القرآن بها، وشريعة محكمة جاءت لتعطى النفس الإنسانية أشواقها ومطامحها وتبنى مجتمعاً ربانياً على أنقاض حضارات المادية، والوثنية والإباحية الفارسية الرومانية، والفرعونية " [٢] .

ومن أهم ما قدم المسلمون من إبداعات فى مجال العلوم الإنسانية: علم التاريخ والاجتماع، وإذا ذكر هذا الفن ذكر العلامة ابن خلدون رائد الإبداع فى هذا الفن فى القرون الوسطى بلا منازع، فهو أكبر مؤرخ فى القرون الوسطى وواحد من أوائل فلاسفة التاريخ، وهو رائد لكثير من عظماء المؤرخين فى أوروبا، كما أنه لقب بأبى علم الاجتماع، وذلك بشهادة علماء الغرب، ومن أهم أعماله: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر، ومقدمة ابن خلدون والتى تعد من أهم المراجع فى علم التاريخ والاجتماع [٣]

فقد أبدع ابن خلدون فى هذا الميدان فى زمانه، وأسس بإبداعاته لمن جاء بعده فى علم التاريخ والاجتماع .

ومن نماذج ما أبدعه المسلمون فى مجال العلوم الانسانيه فى علم الجغرافيا وضعهم لأول خريطة للعالم فى عهد الخليفة المأمون، وكذلك وضعهم لأول مقاييس عربية جغرافية، وكذلك اكتشاف المسلمين لأمريكا قبل الأوروبيين، حيث أثبتت الدراسات الغربية ذلك[٤].

---

(١) ينظر : الأوائل للعسكرى ج١ صـ ١١٦ وما بعدها .

(٢) حضارة دين دراسات فى الحضارة الإسلامية ، د/ على محمد عبد الوهاب صـ ١٠١ ، ١٠٢ ، المنار للطباعة والنشر ٢٠٠٩م.

(٣) ينظر المرجع السابق صـ ١٠٦ ، ١٠٧.

(٤) ينظر:حول العالم الإسلامى فى ثلاثين عاماً د/ عبد الودود شلبى ـ مركز الراية للطباعة والنشر والإعلام . القاهرة ط . الأولى ١٩٩٨م صـ١٦٩ ، ١٧٠ بتصرف، استراتيجيات الدعوة الإسلامية فى أمريكا الشمالية ـ افتاب مالك ـ موسوعة الأقليات المسلمة فى العالم ـ دار الندوة العالمية للشباب المسلم ط ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م جـ٣ صـ١٢٥٢ .

وبعد فتلك نماذج قليلة جداً مما قدمه العلماء المسلمون من إبداعات فى مجال العلوم الإسلامية والإنسانية، لقد حول الإسلام العرب من أميين لا يقرأون ولا يكتبون إلى مفكرين ومبدعين فقهاء، ونحاة، وأُصوليين، وأدباء، ورواداً فى كثير من المجالات.... ، وإلى ذلك يشير العلامة ابن خلدون فى تاريخه فى أكثر من موضع فيقول: " كان الرجال ينقلون أحكام الشريعة في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة فكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله بالقراء . أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين . لان العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ وبقي الأمر كذلك صدر الملة ثم عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء"(١).

وهكذا أسهم العلماء المسلمون بكثير من الإبداعات فى مجال العلوم النظرية المختلفة.

ثانياً: فى ميدان العلوم التجريبية والعملية.

لقد كان نصيب العرب قبل الإسلام من العلوم التجريبية ما عرف عنهم من " الكى " و " الحجامة " واقتفاء الأثر، وبعض الأمور البدائية الأخرى ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا أحسن حال من الأوربيين فى تلك الفترة حيث كانوا يجرمون من يفكر فى مثل تلك العلوم .كما سبقت الإشارة . ، فلما جاء الإسلام وحث أتباعه على الأخذ بكل ما هو نافع، ولفت أنظارهم إلى كثير من الإشارات العلمية المتعلقة بالكون والإنسان، ودعاهم إلى إعمال العقل والفكر انطلقوا فى ربوع الأرض يجمعون كل ما هو نافع من علوم السابقين ونتاجهم العلمى فى كل المجالات، وجابوا بنظرهم وفكرهم فى جنبات الكون، وتفتقت عقولهم عن ألوان من الإبداعات فى ميادين العلوم التجريبية المختلفة، فكانوا كالنحلة التى تجوب الحدائق لتجمع الرحيق من الأزهار فتخرج شراباً طيبا مختلف الألوان فيه شفاء للناس.

١ . **ففي مجال الصيدلة:** هم أول من اخترع الكحول، والمستحلبات، والخلاصات العطرية، واستخدم الرازي لأول مرة الزئبق في تركيب المَرَاهِم، وهم أول من غلف حبات الأدوية المُرة بغلاف من السكر، ليتمكن المريض من استساغة الدواء، وهم أول من غلف الأدوية المعمولة على شكل حبوب، كما برعوا وابتكروا تحضير وضع وتركيب الضمادات والمساحيق واللزوق، وقد وقفوا على صنع مراهم تجف مع الوقت، كشماعات أو غطاء للجروح الحديثة، ومن أشهر من برع في علم الأدوية عبدالرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن واقد، المتوفى سنة ٤٦٧هـ ١٠٧٤م، وماسوية المارديني البغدادى العراقى١٤٠٧م .

---

(١)تاريخ ابن خلدون ج١ صـ ٤٤٦، ٥٤٣ ، ط٤ دار إحياء التراث ، بيروت لبنان.

.

٢ . وفي مجال الطب والتشريح: كان المسلمون أول من ابتكر خيوط الجراحة وكثيراً من الأدوات الجراحية، وأول من اهتموا بالطب النفسى، وكان لهم السبق فى التمييز بين الجدرى والحصبة، وفى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى (الدورة الدموية الرئوية) وكذلك الدورة الشريانية من قبل ابن النفيس، واكتشفوا عدد الأغشية القلبية، ووظيفتها، واتجاه فتحاتها لمرور الدم، وأبدعوا في تشريح العيون وجراحتها، واكتشفوا أن العضلات المحركة للمقل ست عضلات، وبينوا أن العين آلة للبصر وليست باصرة، هذا بالإضافة إلى ما ألفوه من كتب وما وضعوه من قوانين ونظريات فى هذا المجال، ومن أشهرها كتب ابن سينا، والتى تعد من أهم مراجع الطب فى العالم حتى اليوم، إلى غير ذلك من ابتكارات، وكان من رواد المبدعين فى هذا الميدان: الرازى، وابن النفيس، وابن سينا، وابن الهيثم .

٣ . فى مجال الكيمياء : إذا ذكرت الكمياء ذكر شيخ المبدعين بلا منازع . فى هذا الميدان . وهو جابر بن حيان فمن أهم ابتكاراته: نظرية قابلية المواد للاحتراق والفلزات للتأكسد، والاتحاد الكميائى، والتى اكتشفها الأوربيون بعده بألف سنة، واكتشف ما يزيد على سبعين مركباً كميائياً وعنصرا، وكان له السبق فى كثير من العلاجات الكميائية، وابتكار طلاء المعادن والأخشاب، والحبر السرى، وكمياء الحروب وقد استعان به هارون الرشيد فى معاركه، وقد ترك أربعة وخمسين مؤلفاً فى علم الكمياء، وكان يلقب بشيخ الكيميائيين العرب.

٤ـ وفي علم الرياضيات: هم أول من أسس (اللوغارتمات) فلقد ولد ونشأ وترعرع علم اللوغارتمات في البلاد الإسلامية، الذي يرجع في تكوينه لجهود سلسلة من الابتكارات على يد عدد من علماء الرياضيات، مثل: سنان بن الفتح الحراني، وابن يونس الصدفي المصري، وأبي الحسن على النسوي، وابن حمزة المغربي، وأول من استعمل الصفر، والكسر العشرى، وابتكار ما يعرف بالجذر الأصم، واستعمال الرموز فى المعادلات الرياضية، وابتكر الخوارزمى الأرقام العربية على صورة: 5-4-3-2-1 كما ابتكر المنظومة العشرية للأرقام، وهى ما تعرف بآحاد عشرات مئات ... .

٥ . فى مجال الفلك: فقد توسع فيه المسلمون بعد أن اخترعوا أساس حساب المثلثات، فحققوا طول محيط الأرض، وأخذوا ارتفاع القطب، وأقاموا المراصد الفلكية، ورسموا خرائط للنجوم المنظورة فى فلكهم، مطلقين على بعضها أسماء عربية لا تزال معروفة إلى اليوم، وعرفوا حجم الأرض بقياس درجة سطحها، وعينوا الكسوف والخسوف، وكان من أشهر الفلكيين المسلمين " ابن يونس " الذى اكتشف البندول، " وابن الشاطر" وغيرهما.

٦ـ مجالات أخرى: هناك العديد من المجالات الأخرى التى أبدع فيها المسلمون ففى مجال الصناعة كان لهم السبق فى صناعة الورق، والبارود، وتكرير السكر، وفى مجال الزراعة كان

لهم السبق فى تحليل أنواع التربة وابتكار الأسمدة، وطرق زراعة "٥٨٥" نوعاً من النباتات، والتعرف على أمراض النباتات وعلاجها.

أما فى مجال العمارة، فما خلفوه من آثار معمارية خير شاهد على ما وصلوا إليه من إبداعات لم تسبق، فقصور المسلمين ومساجدهم فى بلدان العالم العربى والأوربى أكثر من أن تحصى(١).

وبعد فتلك نماذج قليلة جداً من إبداعات المسلمين فى كل ميادين الحياة، وهى خير دليل وشاهد على عظمة المنهج الإسلامى وصلاحيته لتحقيق الإبداع فى الأمة إن أخذ به أبناؤها، إذ إن ما سبق ذكره من نماذج لهو تطبيق عملى لمنهج الإبداع الإسلامى على أرض الواقع، فقد نقل الإسلام أتباعه من الأمية والجهل إلى الريادة فى كل مجالات الحياة، وعجباً لأمة تمتلك هذا المنهج فتتخلف عن ركب الحضارة، ولا يكن لها الريادة الإبداعية فى ميادين الحياة !

الخـاتمـة

الحمد لله رب العالمين، بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تتحقق الغايات، وأصلى وأسلم على خاتم أنبياء الله ورسله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد.

فقد طوفت من خلال صفحات هذا البحث مع عامل من أهم عوامل نهضة الأمة الإسلامية وتقدمها، وقيمة من القيم العظيمة التى تحتاج الأمة إلى إحيائها فى نفوس أبنائها فى ظل واقعها المعاصر؛ لتعود الأمة إلى سابق عهدها من التقدم والرقى، وقد توصل الباحث من خلال الدراسة ما يلى:

١. أن الإبداع الحقيقى والمطلق للمبدع . سبحانه وتعالى . وكل إبداع بشرى من إنعام المنعم على عباده، وفيض من رحمته.

٢ . أن الإبداع فى المفهوم الإسلامى يختلف عنه فى المفهوم الغربى فليس الإبداع مجرد فكرة جديدة تطرأ على الذهن فينفذها صاحبها كما عند الغربيين، ولكن الإسلام أضاف إلى مفهوم الإبداع معنى جديداً بأن يكون نافعا مفيداً لايصطدم مع ثوابت الدين وقيمه.

---

(١) ينظر للتفصيل: أطلس الحضارة الإسلامية – د/ إسماعيل راجى الفاروقى، د/ لوس لمياء الفاروقى صـ٤٦٦ ترجمة د/ عبد الواحد أبو لؤلؤة – العبيكان السعودية – المعهد العالمى للفكر الإسلامى ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى – جلال مظهر صـ٣٥٠ وما بعدها مكتبة الخانجى – مصر بدون ط، شمس الإسلام تسطع على الغرب – زيغريد هونكه صـ٢٢٧ دار الآفاق الجديدة بيروت ط٨ ١٤٠٦هـ ١٩٠٦م ترجمة فاروق بيضون، من روائع حضارتنا، د مصطفى السباعى صـ ٢١٩ وما بعدها دار الوراق والنيربين ، ط١،١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، موسوعة الحضارة الإسلامية، تحرير مجموعة من العلماء والمفكرين، تحت إشراف أد حمدى محمود زقزوق ، صـ ٤٩٧وما بعدها ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف ١٤٣٦هـ ٢٠٠٥م، التخلف العلمى فى واقع المسلمين المعاصر، د أنس أحمد كرزون صـ ٢٨-٣٠ دار ابن حزم .

٣ . ليس الإبداع أمراً نادر الحدوث أو حكراً على أفراد مختصين، ولكن ملكة الإبداع متوفرة عند كثير من الناس ولكن بنسب متفاوتة، وما على الإنسان إلا أن يستثمرها فيما ينفع كل حسب طاقته وقدراته.

٤. يتطلب الإبداع عددا من العوامل ليتحقق ويؤتى ثماره، منها ما يتعلق بالإنسان نفسه، ومنها ما يتعلق بأسرته ومنها ما يتعلق بالمجتمع ككل.

٥ . أن الدين الإسلامى كان له السبق فى الاهتمام بالإبداع ورعاية المبدعين.

٦. وضع الإسلام منهجاً قويماً لتحقيق الإبداع لدى الأفراد والأمم، من أهم خطواته : احترام العقل والحث على إعماله فيما ينفع، والحث على طلب العلم وإتقان العمل، والتعرف على سنن الله فى الكون مع الانتفاع بما فيه من طاقات، وتقدير الموهبة ورعاية الموهوبين.

٧. لم يترك الإسلام أمر الإبداع دون ضابط أو قيد ولكن وضع الضوابط والضمانات التى تحقق المنهج الإسلامى على مستوى الأفراد والجماعات، وترشد الطاقة الإبداعية، وتحفظ للمبدع حقه وللإنسان كرامته .

٨. الحرية الإبداعية لا تعنى التطاول على قيم الدين وثوابته أو حقوق الإنسان وكرامته أو قيم المجتمع وأعرافه.

٩. أن المنهج الإسلامى لتحقيق الإبداع قابل وصالح للتطبيق فى كل زمان ومكان، وقد قدم المسلمون الأوائل الدليل على ذلك.

١٠. أن المسلمين الأوائل عندما التزموا بخطوات المنهج الإسلامى سبقوا الأمم حضارياً وتفوقوا فى كل ميادين الحياة.

١١. السبب فى تأخر المسلمين حضارياً لا يرجع إلى الإسلام . كما يزعم البعض . ولكن يرجع إلى عدم التزام المسلمين بمنهجه.

فما على المسلمين فى عصرنا الحاضر عامة والقائمين على أمر الأمة خاصة إلا أن يعودوا لنهج الإسلام الصحيح؛ ليستضيئوا بنوره فى كل ميادين الحياة؛ وأن يأخذوا بأسباب التقدم والرقى، لتعود للأمة الإسلامية عزتها وكرامتها كسابق عهدها، نسأل الله تعالى أن يردنا إليه رد الكرام عليه، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.
٢. الإبداع العام والخاص، ألكسندرو روشكا، ترجمة د/ غسَّان عبد الحى أبو فخر ، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٤٤ جمادى الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م .
٣. الإبداع، دكتور /عبد الحليم محمود السيد ، دار المعارف ١٩٧١م.
٤. الإرشاد النفسى فى حياتنا اليومية فى ضوء الوحى الإلهى والهدى النبوى ، د رشاد عبد العزيز موسى، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط١/ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٥. استراتيجيات الدعوة الإسلامية فى أمريكا الشمالية . افتاب مالك . موسوعة الأقليات المسلمة فى العالم . دار الندوة العالمية للشباب المسلم ط ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٦. الإسلام والإنسان المعاصر دراسة نفسية د عبد الرحمن محمد العيسوى ، دار الراتب الجامعية بيروت ط١/ ١٤٢٠هـ ٢٠٠١م.
٧. الإسلام وقضايا التنمية الشاملة دراسات للأبعاد الإيمانية للتنمية، أد/نبيل السمالوطى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية،عدد٩٦ صفر ١٤٢٤هـ أبريل ٢٠٠٣م .
٨. أصول علم النفس وتطبيقاته ، دفاخر عاقل ، دار العلم للملايين بيروت، ط٣ ١٩٧٨م.
٩. أطلس الحضارة الإسلامية – د/ إسماعيل راجى الفاروقى، د/ لوس لمياء الفاروقى ترجمة د/ عبد الواحد أبو لؤلؤة – العبيكان السعودية – المعهد العالمى للفكر الإسلامى ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.
١١. أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلانى ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ط الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٢. البيئة التربوية للطفل فى الإسلام د/ ليلى خميس السقا، د/ يوسف محمد شراب، دائرة الثقافة والإعلام = الشارقة سلسلة رسائل جامعية ط الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
١٣. تاريخ ابن خلدون ط٤ دار إحياء التراث ، بيروت لبنان.
١٤. التخلف العلمى فى واقع المسلمين المعاصر، د أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم بيروت، ودار نور المكتبات جدة السعودية ط١/١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٥. تربية الأولاد فى الإسلام، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ط١١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١٦. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت ط١/ ١٤٠٥، تحقيق : إبراهيم الأبياري.
١٧. التفسير الكبير، للإمام محمد الرازى فخر الدين، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
١٨. التفوق العقلى والابتكار عبد السلام عبد الغفار، دار النهضة العربية١٩٧٧م.
١٩. التفوق العقلى والابتكار، دكتور عبد السلام عبد الغفار ، دار النهضة العربية ١٩٧٧م .
٢٠. تنمية الأطفال المعاقين، عبد المجيد عبد الرحيم ، دار غريب للطباعة والنشر ١٩٩٧م.
٢١. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط/ ١٤١٠هـ تحقيق : د. محمد رضوان الداية.
٢٢. جلة الوعى الإسلامى الكويت عدد ٥٣٠ تصدر عن وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف بالكويت.
٢٣. حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى – جلال مظهر مكتبة الخانجى – مصر بدون ت.
٢٤. حضارة دين دراسات فى الحضارة الإسلامية ، د/ على محمد عبد الوهاب ، المنار للطباعة والنشر ٢٠٠٩م.

٢٥.حول العالم الإسلامى فى ثلاثين عاماً د/ عبد الودود شلبى . مركز الراية للطباعة والنشر والإعلام . القاهرة ط . الأولى ١٩٩٨م
٢٦.ذوو الاحتياجات الخاصة وموقف الإسلام منهم، وما بعدها رسالة دكتوراه للباحث ، بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر ٢٠٠٧م.
٢٧.رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس، دكمال إبراهيم مرسى ، دارالقلم الكويت ط٢ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٢٨.روائع حضارتنا، د مصطفى السباعى ، دار الوراق والنيربين ، ط١٤٢٠،١هـ ١٩٩٩م .
٢٩.الروض الأنف، أبو بكر محمد بن إسحاق ، بدون بيانات طباعة.
٣٠.السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٣١.سنن الترمذى ، دار إحياء التراث العربى بيروت، تحقيق أحمد شاكروآخرون.
٣٢.سنن ابن ماجة ، دار الفكر بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٣٣.سنن البيهقى ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٣٤.السيرة النبوية ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م.
٣٥.سيكولوجية الطفل غير العادى – د/ عبد السلام عبد الغفار، د يوسف الشيخ – دار النهضة العربية – ١٩٦٦م.
٣٦.شرح النووى على صحيح مسلم –دار إحياء التراث العربى – بيروت ط٢ ١٣٩٢هـ
٣٧.شعب الإيمان للبيهقى ، دار الكتب العلمية بيروت ط١٤١/١هـ.
٣٨.شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى،دار الجيل ودار الآفاق بيروت، ط٨ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
٣٩.صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري – دار بن كثير اليمامة بيروت ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م ط ٣ تحقيق مصطفي ديب البغا.
٤٠.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخارى ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت،الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.
٤١.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٢.العبقرية والإبداع والقيادة " دراسات فى القياس التاريخى "، دين كيث سايمنتن، ترجمة د/ شاكر عبد الحميد، مراجعة د/ محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٧٦ صفر ١٤١٤هـ أغسطس ١٩٩٣م .
٤٣.العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيروانى ، مكتبة المصطفى للنشر الإلكترونى .
٤٤.فى ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٦ ١٤١٠هـ١٩٩٠م.
٤٥.فيض القدير، عبد الرؤوف المناوى ، المكتبة التجارية مصر ط ١ ١٣٥٦هـ.
٤٦.قبسات من الرسول ﷺ محمد قطب، دار الشروق بيروت ط٨/ ١٤٠٢هـ.
٤٧.لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور، دارصادر بيروت، ط الأولى.
٤٨.مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م ، مجلة فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى .
٤٩.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمى، دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٥٠.محاضرات فى المتفوقين، أعضاء هيئة التدريس بقسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية جامعة الزقازيق.
٥١.مختار الصحاح ،محمد بن أبى بكر الرازى، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،ط١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٥٢.مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام – د/ طلعت محمد عفيفى –ط الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م بدون ذكر دار طباعة .
٥٣.مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير، دكتور /عبدالعظيم المطعنى ، مكتبة وهبة، ط١/١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٥٤.المصباح المنير، أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى، المكتبة العلمية بيروت.
٥٥.المعارف الطبية فى ضوء القرآن والسنة، د أحمد شوقى إبراهيم ، دار الفكر العربى ط١ ١١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٥٦.المعجم الأوسط للطبرانى ، دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ تحقيق طارق بن عوض الله محمد.
٥٧.المعجم الكبير للطبرانى، مكتبة العلوم والحكم ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.
٥٨.المعجم الكبيرللطبرانى، مكتبة العلوم والحكم الموصل ط٢ /١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.
٥٩.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث القاهرة ط٣ ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٦٠.المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق مجمع اللغة العربية.
٦١.موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها فى استخلاف الإنسان فى الأرض، أد عقيل حسين عقيل ، دار ابن كثير دمشق بيروت ، ط ١ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٦٢.موسوعة التاريخ الإسلاميّ ، د/أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ـ الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٩م .
٦٣.موسوعة الحضارة الإسلامية، تحرير مجموعة من العلماء والمفكرين، تحت إشراف أد حمدى محمود زقزوق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف ١٤٣٦هـ ٢٠٠٥م.
٦٤.النظام السياسى فى الإسلام، أد / أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

الفهـرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٢
٢	المبحث الأول: الإبداع " مفهومه، حقيقته، عوامله".	٥
٣	المطلب الأول :تحرير المصطلحات.	٥
٤	أولاً: مفهوم الإبداع.	٥
٥	ثانياً: بين الإبداع وبعض المصطلحات الأخرى.	٦
٦	ثالثاً: بين إبداع الخالق سبحانه وإبداع الخلق.	٨
٧	المطلب الثانى: حقيقة الإبداع وعوامله.	١٠
٨	أولاً: العوامل الذاتية.	١١
٩	ثانياً: العوامل الخارجية.	١٤
١٠	المبحث الثانى: منهج الإسلام فى تحقيق الإبداع.	١٩
١١	أولاً: احترام الإسلام للعقل والحث على تنمية قدراته .	٢٠
١٢	ثانياً: دعوة الإسلام لطلب العلم والاهتمام به.	٢٤

١٣	ثالثاً: الحث على فهم السنن الكونية والانتفاع بما فى الكون من طاقات ومسخرات.	٢٧
١٤	رابعاً: الحث على إتقان العمل وإجادته.	٢٩
١٥	خامساً: النهى عن التقليد والتبعية والاتكال.	٣١
١٦	سادساً: تقدير المواهب ورعاية الموهوبين.	٣٥
١٧	المبحث الثالث: ضوابط الإبداع فى الإسلام.	٣٨
١٨	أولاً: الإبداع فى حدود ما أباحه الشرع من مجالات.	٣٩
١٩	ثانياً: احترام القيم الإنسانية والمجتمعية.	٤٠
٢٠	ثالثاً: تحقيق النفع والخير للبشرية.	٤٢
٢١	رابعاً: نسبة النعمة للمنعمﷻ وعدم البطر والغرور.	٤٣
٢٢	خامساً: استشعارالمسئولية والمحاسبة أمام الله.	٤٥
٢٣	المبحث الرابع: ثمار الالتزام بمنهج الاسلام فى تحقيق الإبداع.	٤٧
٢٤	أولاً: فى مجال العلوم النظرية.	٤٨
٢٥	ثانياً: فى مجال العلوم التجريبية والعملية.	٥٠
٢٦	الخاتمة.	٥٢
٢٧	مراجع البحث.	٥٤
٢٨	الفهرس.	٥٦